ترجمات القرآن إلى أين ؟

وجهان لجاك بيرك

بقلم

دكتورة / زينب عبد العزيز

أستاذ الحضارة

ورئيس قسم فرنسي بكلية الآداب

جامعة المنوفية

دار الهداية

الطبعة الأولى
١٤١٤هـ - يناير ١٩٩٤

الطبعـة الثانيـــة
مزيدة ومنقحة
١٤١٤هـ - مايو ١٩٩٤

بسم الله الرحمن الرحيم

إلي الذين دافعوا عن چاك بيرك بالباطل ،

علّهم يتقون ....

وإلي الذين بيدهم تصويب الأمر بالحق ،

علّهم يفعلون ....

﴿ فالله خيرٌ حافظاً وهو أرحم الراحمين ﴾

(يوسف - ٦٤)

** وجهان لچاك بيرك **

نعم ، وجهان لچاك بيرك وليغضب كما يحلو له ، فالقرآن ليس لعبة يلهو بها هو أو غيره من المغرضين .. وأقول وجهان لأنه تعامل مع النص القرآنى بوجه ، ويتحدث عنه فى أحاديثه السيارة بوجه آخر .. ولا أناقش هنا مكانة چاك بيرك مستشرقاً أو صديقاً للعرب والمسلمين – حتى ولوكان على مدى كتاباته بأسرها – لكن ما اقترفه فى حق القرآن والإسلام تضامنا مع تلك الهجمة الشرسة التى يقودها الغرب برياح تعصبه الراسخ، بحاجة إلى وقفة أمينة وليس إلى تملق طائش أو بعض النفاق المنمق .

– ولم نتصدر لهذه الترجمة بالذات دونا عن غيرها لمجرد أنها من احدث الترجمات التى ظهرت لمعانى القرآن الكريم – وإن كان ذلك وحده يكشف موقف الغرب واستمراره المستميت فى محاربة الإسلام – وإنما لكل ما واكبها من مساندة اعلامية مغرضة شائهة الأسانيد والمرمى ، مشحونة بالمغالطات التاريخية والدينية بل لقد وصل التبجح بالبعض إلى درجة اعتبارها القرآن نفسه مكتوبا باللغة الفرنسية (راجع مجلة القاهرة العدد ١٢٩ أغسطس ٩٣).

فلقد ظهرت فى الشهور الماضية عدة مقالات ـ فى الصحف والمجلات اليومية– تدافع عن چاك بيرك وترجمته المغلوطة لمعانى القرآن .. وتتضافر فى الغضب لغضبه .. وكان آخر هذه المقالات ما ظهر منها فى احدى المجلات الأدبية تغص بالمديح الممجوج وتبالغ فى التغنى بمكانته ..

والقضية المطروحة هنا ليست مجرد إدانة شخص أو الدفاع عنه وإنما هى إدانة مسببة لشخص تلفع بصداقته الطويلة أو المعروفة للعرب والمسلمين ،

واختبأ تحت لافتة عضويته بالمجمع اللغوى المصرى ، ليوجه للإسلام أعتى ما يمكن أن يوجهه له من طعن بتحريف معانى القرآن عمدا ، ومحاولة النيل منه طوال دراسة تحليلية مزعومة تتشدق بالعبارات اللغوية الرنانة لتخفى ما تتضمنه من فريات ..

وهذه الإدانة المسببة لا يجب أن ينظر إليها بعين مجـردة أو فـى حد ذاتها – وإن كان ذلك لا يقلل مما بها من طعنات – وإنما يجب أن توضع فى الإطار العام السياسى والاجتماعى الذى يحيط بالإسلام خاصة فى هذا العقد، عقد التسعينيات الذى يحاول الغرب خلاله أن يجهز على الإسلام والمسلمين .. وهنا تأخذ القضية كل أبعادها وتظهر فداحة ما اقترفه چاك بيرك على حقيقته ..

فلابد من وقفة قصيرة نتناول خلالها نبذة تاريخية حول ترجمات معانى القرآن حتى يتمكن القارىء من إدراك مختلف جوانب الموضوع :

يقول الأب روبيركاسبار : « إن الغرب لـم يفهم الإسلام على حقيقته أبداً ، بل ولم يحاول ذلك مطلقا .. وحتى خيرة المسيحيين القلائل الذين كانوا يعيشون على مقربة من الإسلام من أمثال يوحنا الدمشقى، تيودور أبى قرة، أو بولس الصيدونى ، فلم يتمكنوا من إدراك جوهر الإسلام وعظمته، وهى : التصعيد إلى الله الواحد الأحد ... ولعل ذلك يرجع أساساً إلى أن الغرب المسيحى قد اكتفى لمدة قرون طويلة بتلطيخ الإسلام ومؤسسه بأسخف الأقوال ، دون حتى أن يكلف نفسه عناء دراسة هذه العقيدة ، فأول ترجمة لاتينية للقرآن لم تظهر إلا فى القرن الثانى عشر ، أى بعد خمسة قرون من ظهور الإسلام ، وقد تمت بناء على مبادرة من بطرس المبجل وتحت إشراف اسقف ديركلونى ، ولابد لنا هنا من إضافة : إن هذه الترجمة وكل الترجمات التى تلتها لم تكن لها أى هدف آخر سوى أن تكون الاساس لتوجيه المزيد من الإدانات ضد القرآن ، وتلك الإدانات التى امتدت سلسلتها على مـدى قرون تتناثـر عليها بعض أشهر الأسماء (vatican II صفحـة ٢٠٩) .

وتمر الأيام من منتصف القرن الثانى عشر حتى القرن العشرين ، من تلك الترجمة الأولى لمعانى القرآن ، التى تمت من أجل زيارة البابا لإسبانيا فيما بين عامى ١١٤١ و ١١٤٣ ، وتتغير المسميات والأسماء ، لكن الغرض يظل واحدا .. فها هو المستشرق الفرنسى رجيس بلاشير يقول فى مقدمة كتابه عن « القرآن » ، عن هذا البابا المبجل : « وكان طلبه لترجمة القرآن استمرارا لروح الحروب الصليبية ، ومن جهة أخرى لحاجته إلى ما يمحو به أية آثار ما زالت عالقة بذهن المسلمين الإسبان الذين تم تنصيرهم حديثا .. ويبدو أن الترجمة التـى تمت فى مدينـة توليدو لم تكن أمينة بالمرة وغير كاملة » (صفحة ١٠) .

والنص ليس بحاجة إلى تعليق ، فما تم آنذاك من « غسيل مخ » لمن نجو من المذابح الصليبية فى أسبانيا ، هو بعينه ما يدور حاليا لنساء البوسنة وأهلها الذين تأخذهم الجمعيات الكنسية وغيرها وتفرض عليهم الارتداد عن الإسلام ، وإن كانوا حاليا ليسوا فى حاجة إلى مزيد من تزييف النصوص ، فالقهر والإغتصاب بأنواعه يكفى ....

ثم توالت الترجمات ، وكلها تندفع من نفس المنطلق حتى كان القرن السادس عشر وبدأ يظهر الاستشراق والاهتمام بدراسة اللغة العربية بغية مزيد من التوغل ومزيد من الهدم والتجريح . وفى القرن السابع عشر قام انـدريه رييه (١٥٨٠ - ١٦٦٠) قنصل فرنسا فى مصر عام ١٦٣٠ بعمل أول ترجمة كاملة للنص العربى نشرت عام ١٦٤٧ . وكانت أول محاولة أمينة فى ابتعادها عن الصراعات ، لكنها ما كادت تظهر فى الأسواق حتى تبعتها ترجمتان : احداهما بقلم چرمان دى سليزى ، والأخرى بقلم لودفيكو ماراتشى لتعودا بترجمات معانى القرآن إلى حظيرة التعصب وحلبة الصراع التى بدأها البابا بطرس المبجل « والتى تم خلالها تفنيد الدين الإسلامى ورفضه من خلال تعاليم القرآن » (بلاشير : « القرآن » صفحة ١١) .

وتتربع ترجمة المستشرق الألمانى نولديكه مكانة الصدارة بكل ما تحمله من تحريف يتلفع بأعلى المستويات العلمية اللغوية ، أليس هو القائل فى وصف القرآن وسيدنا محمد (ﷺ) أنه [« صائغ غير موهوب لسور قرآنية

مشوشة الأسلوب » ؟!] وهى الترجمة التى يتذرع بها بلاشير ليقول عن القرآن : « ذلك النص الغامض عادة ، والذى يصعب فهمه فى سياقه الذى لا يتفق – ونصرّ على ذلك – مع المراحل الأربع المتتالية لنبوة محمد فى مكة وفى المدينة » (المرجع السابق صفحة ١٣) .. ولم يكتف بلاشير بالإصرار على تجريحه بقضية ترتيب الآيات المعروفة ، التى لو رجع إلى لكتب الفقه والتراث الدينى لعرفها وإنما ها هـو يرمى بضربته الأخرى قائلا: « إن الرغبة فى فرض نص ثابت لا يتغير تبدو من ذلك الفعل الدنس أو انتهاك الحرمات من جانب الصحابة الذين قاموا بإبادة كل الأشياء التى تم تسجيل الآيات عليها بأياد ورعة قامت بجمعها من فم الرسول » ! (صفحة ٢١ من نفس المرجع) .

فعلى الرغم من اللباقة واستخدام الألفاظ المغلّفة والمنمقة من ورع وغيره وتباكيه على ضياع الأصول ، إلا أن فحوى خطابه يتضمن الإشارة إلى تلاعب ما وإبادة الأصل لعدم الكشف عما تم من تحريف .. وهى ليست إلا عملية اسقاط لماقامت به الكنيسة فى أناجيلها ومجامعها ، وطرحها على القرآن الكريم الثابت نزوله وتثبيته بلا أى تحريف ... بل وها هو يصل به الأمر إلى التشكيك حتى فى نص مصحف عثمان اعتماداً على الهجوم الذى يكيله الغرب بمستشرقيه.. وما أغرب ازدواجية رچيس بلاشير هذا ، فهو من ناحية يعلم ويقول إن كافة ترجمات القرآن قد تمت بغية إدانته وتجريح شرائعه ، ثم ها هو يتذرع بهذه الانتقادات ذاتها ليقول : « وحيال كل هذه الانتقادات نحن مساقون لأن نسأل الكتابة "قديمة أن تأتينا بإجابة عن مسألة الأمانة المطلقة لنص مصحف عثمان » !! (المرجع السابق : صفحة ٢٥) .

وتمر الأيام ، وتتساقط أوراق التوت عـن عورة الاستشراق وينكشف أمـره .. فهو كمنهج علمى ومحاولة فكرية لفهم حضارة الإسلام وعقيدته وتراثه لم ينشأ إلا لمهاجمته والتنديد به وبأمة الإسلام .. ولعل ذلك هو ما دفع المستشرق چاك بيرك إلى رفض وانكار انتمائه إلى الإستشراق والتمسك بأنه دارس للتاريخ ومؤرخ !! وإن كان فى واقع الأمر لا يقل خداعا والتواءً عن بقية المستشرقين ..

ولم يعد ذلك الموقف المغرض وحده هو ما يدين الاستشراق وأمانته العلمية وإنما اثبتت الدراسات التى قام بها العلماء العرب والمسلمون بأن أولئك المستشرقين الذين يدّعون فهم العربية ، هم فى الواقع لايحسنونها .. وعلى الرغم من هذا الجهل الواضح باللغة ، التى تعد أداة العمل العلمى الذى يزعمونه ، فهم يصدرون احكاماً مغرضة من حيث الشكل والمضمون وأمانة تنزيه القرآن ، وذلك فيما يكتبونه من مقدمات علمية ليست فى الواقع سوى معاول هدم متعددة الأوجه ، تدور حول محور أساسى واحد هو : زعم أن القرآن عقبة فى سبيل ارتقاء الأمم الإسلامية !! .

وذلك بعينه هو ما كان يردده اللورد كرومر فى كتاباته فى مطلع هذا القرن وبناء على آراء مستشاريه من المستشرقين : « إن القرآن هو المسئول عن تأخر مصر فى مضمار الحضارة الحديثة » أو « لن يفلح الشرق مالم يرفع الحجاب عن وجه المرأة ويغطى به القرآن » ! (مصر الحديثة ١٩٠٨) .

وذلك بعينه هو الهدف العام الذى اتبعه المستشرق چاك بيرك فى ترجمته لمعانى القرآن التى صدرت عام ١٩٩٠ ، ولم تكشف عن أنه انسان بوجهين فحسب ، بل عن أنه يفتقد الأمانة العلمية فى ترجمته وفى اسلوبه الذى يشى عن تعصب مغرض أدى به إلى تشويه صورة الإسلام .. ومن المؤسف أن يقوم أحد تلاميذه ليعلن على لسانه فى مؤتمر « نحو مشروع حضارى جديد » المنعقد فى جامعة القاهرة فى يونيو ١٩٩٢ ، عقب إشارتنا إلى هذه الترجمة المغلوطة قائلا : « إن چاك بيرك يأسف لما صدر عنه عفواً وهو على استعداد لتصويب هذه الأخطاء » !! .

وهنا لا نملك إلا أن نسأل ما جدوى الاعتذار الشفهى أو الوعد السيار بالتصويب بينما آلاف النسخ تتداول بين أيدى ملايين المسلمين المقيمين فى فرنسا أو فى بقايا مستعمراتها والذين لا يقرؤون سوى الفرنسية ؟! . ما جدوى الوعد بالتصويب ولا تخلو صفحة واحدة من هذه الصفحات الثمانمائة وثلاثين من أكثر من خطأ متفاوت الفداحة أو الأهمية ؟! .

لذلك نستشهد بالمثل القائل : « لكل عالم هفوة ، ولكل جواد

كبوة » .. ومن البديهى أنه كلما ارتفعت مكانة العالم وارتقى ، كلما كانت « هفوته » بنفس القدر انحداراً ولا شك فى أن چاك بيرك يعد من عمالقة الفكر الفرنسى المعاصر ، ولاشك فى أنه واحد من ألمع المستشرقين المولعين بالشرق حتى بثيابه وجلبابه الذى يرتديه ، ولا شك أيضا فى معرفته اللغة الفرنسية حتى مفرداتها البالية أو غير المستخدمة ، ولاشك كذلك فى معرفته اللغة العربية بدليل حصوله على عضوية المجمع بمصر .. أى بقول آخـر : إنه عملاق فى مجاله ، ومن هنا يمكن إدراك عمق « الهاوية » حينما يسقط من فى مثل مكانته ..

ولا شك فى أن الجهد الذى قام به لترجمة معانى القرآن ، ذلك الجهد الذى استغرق ما يزيد على العشر سنوات – على حد قوله فى الأحاديث الصحفية (القبس ٢٦ / ١ / ١٩٨٩) – هو جهد عملاق .. وكم كنا نود أن يؤتى ثماره لتكلل المكانة العلمية التى يحتلها .. لكن من المؤسف حقاً أن تخرج ترجمته هذه إلى النور وهى تحمل بين صفحاتها العديد من الظلمات والنواقص .. وكلمة « العديد » هنا مجازية ، فما من صفحة تخلو من الأخطاء ، وما كنا نرجو لمن فى مثل مكانته العلمية بأن تحمل آخر أعماله – وعن القرآن بالذات – مثل هذه السقطات المتعمدة .. لكن الأخطاء فى الأعمال العملاقة .. عملاقة أيضاً..

ونظرا لخطورة الموضوع وحساسيته الشديدة من ناحية ، ونظراً لتعدد عناصره وتشعبها من ناحية أخرى فلا بد لنا من تناولها تباعاً وبوضوح حتى يتمكن القارىء من متابعتها وحتى لا يلتبس الأمر وتتوه الحقائق ..

ومنذ البدء ، لا أزعم أننى قرأت كل ترجمته لمعانى القرآن ، وإنما قرأت برويّة المقدمة التى كتبها ، وتقع فى اثنين وثمانين صفحة ، ولا أزعم أيضا أننى من الضالعات أو الضالعين المتخصصين فى الدين الإسلامى وفقهه ، إلا أن ما ورد فى هذه المقدمة من مغالطات وتحريف ومعانى تتخفى بمسوح العبارات اللغوية المعاضلة والسفسطة العلمية – فأسلوب چاك بيرك مشهور بتحذلقاته الملتوية التى تطغى أحيانا كثيرة على المعنى .

وكل ما ورد فى هذه المقدمة من تشويه واستفزاز ، يحتم علىّ - كأستاذة للحضارة أتمت كل مراحل تعليمها بالفرنسية ، أن أقدم بعضا مما ورد فى هذه المقدمة وبعض ما رأيته فى الترجمة ، حتى يتمكن المختصون والمهتمون بهذا الموضوع من مجابهة فرياته ، والاهتمام الواجب للتصدى لما أتى به چاك بيرك فى هذا العمل المشين .

وقبل أن نتناول ما ورد فى هذه المقدمة لابد من أن نتساءل : ترى لماذا هذه الترجمة الجديدة لمعانى القرآن ؟ لماذا ، وهناك العديد من الترجمات وأغلبها قام بها مستشرقون مثله ؟! من المعروف أنه حينما يتعرض المرء لترجمة عمل ما - خاصة و إن كان ذلك من اختياره المطلق وليس بتكليف ما - فإنه عادة ما يرجع لأحد أمرين :

* إما أن يكون إعجاباً بهذا العمل ورغبة منه فى نقل ما ورد فيه إلى أكبر عدد ممكن من القراء .

* أو احتجاجا على ما تضمنه ، فترجم للرد عليه أو أملا فى أن يتولى الآخرون هذه المهمة .

ولا أعتقد أن ما ورد فى مقدمة چاك بيرك المشحونة بالفريات ، ولا فى نص ترجمته برمته ما يسمح بالقول بأنه إنما قام بهذا الجهد كله إعجاباً بالقرآن وبالمسلمين !!

إن هذا السؤال الأول يقود إلى السؤال الثانى ، وهو : ترى لمن هذه الترجمة ؟ من غير المعقول - بداهة - أنها تمت من أجل المسلمين المتحدثين باللغة العربية ، فجميعهم يقرؤون القرآن فى لغته الأصلية التى هى لغتهم الأم .. أى أن هذه الترجمة قد تمت - بلا شك - من أجل المتحدثين باللغة الفرنسية ، وهم إما أن يكونوا من الفرنسيين أنفسهم ، وإما من الشعوب المتحدثة بالفرنسية - ولا اعتقد أن أغلبهم من المسلمين .

ولعل التعبير الذى قاله چاك بيرك ضمن حديث له مع مراسل جريدة « القبس » (٢٢ / ٦ / ١٩٩١) يكشف عن الهدف الحقيقى لهذه الترجمة ولهذا الجهد المنبت الذى قام به إذ يقول ضمن سياق الحديث :

« لأن الكثير من الناس والمفكرين الآن ينبذون الصورة المادية للحياة المعاصرة ويرفضون مجتمع الإستهلاك ، هذا المجتمع المادى المحض ، ويفضلون على المدنية المعاصرة مدنية الإسلام الروحية ، وينادون بالعودة إليها »! أى أنه أدرك أن تحول العديد من الناس والمفكرين عن معتقداتهم أو دياناتهم غير الإسلامية – سواء فى فرنسا أم فى البلدان الخاضعة لسيطرتها – واعتناقهم الإسلام هو واقع معاش اليوم ، وهو فى الحقيقة الأمر الذى يفزع منه چاك بيرك ، كما يبين فى المضمون الخفى للعبارة ، فراح يسفه لهم معانى ذلك القرآن الذى يجذبهم بروحانياته وباتزان تعاليمه الشاملة للحياة الدنيا وللآخرة ، أملاً فى الحد من هذه الموجة الآخذة فى الانتشار رغم القهر ورغم محاولات الإبادة .

وليس هذا الموقف بغريب أو بجديد على القرآن وعلى الإسلام والمسلمين ، فها هو مستشرق آخر ومعاصر له ومن بنى جلدته ، المستشرق رجيس بلاشير ، الذى كثيرا ما استشهد به چاك بيرك لتبرير فرياته ، ها هو يقول فى مقدمة كتابه عن « القرآن » متحدثا عن الصورة المشوهة – بصفة خاصة – التى قدمتها أوربا المسيحية عن محمد ﷺ مشيرا بذلك إلى العديد من الترجمات التى تمت لمعانى القرآن ، منذ القرن الخامس عشر ، والتى كانت « كلها تمثل عنصراً أساسياً فى الصراع القائم ضد الإسلام ».

وعلى الرغم من هذا الاعتراف الواضح ، وعلى الرغم من هذا التبرير لكتابة بحث جديد عن القرآن فإن رجيس بلاشير لم يكن هو أيضا بالأمانة التى يزعمها كما أشرنا ، وإن كانت تلك قضية أخرى إلا أن ذلك يأتى للأسف كاستمرار لنفس الخط ولنفس النغمة النشاز من القرن السابع منذ ظهور الإسلام وبداية انتشاره حتى اليوم .. ألم يكتب صمويل زويمر – زعيم المبشرين فى العصر الحديث قائلا فى كتابه المعنون : « الإسلام تحد للعقيدة » وذلك فى مطلع مقدمته : « إن كنائس المسيحية قد استيقظت اخيراً لحقيقة أن إحدى المشاكل الكبرى التى لم تحل بعد ، والتى تواجه إرساليات القرن العشرين هى تبشير العالم الإسلامى »؟! .

ولا حصر لكل ما كتب قبلها أو بعدها من عبارات ، وكم كنا نود ألا نمس هذا الجانب وتلك الحروب التشويهية، الخفية منها والمعلنة ، التى قادتها

الحروب الصليبية بأشكالها ضد الإسلام . وهو ما طالب مجمع الفاتيكان الثانى باستبعاد صوره فى القرارات التى اتخذها عام ١٩٦٥ .. إلا أن الأمور قد سارت - فى الواقع - على عكس هذه « القرارات المعلنة » بل واستمرت مؤتمرات التبشير ، ولا نذكر منها إلا ذلك المؤتمر العام الذى انعقد فى لوزان عام ١٩٧٤ ، ومؤتمر كولورادو فى شمال أمريكا ، المنعقد عام ١٩٧٨ ، والذى حضره مائة وخمسون متخصصا فى شئون التبشير ، وتمت خلاله دراسة أربعين بحثا تدور كلها حول هذا الهدف ، ولا نقول شيئا عما يدور من مذابح للمسلمين على الصعيد العالمى ، تلك المذابح التى تواكبها أعمال المبشرين والمنظمات غير الحكومية . وكلها أحداث تدور على الملأ فى وضح النهار ... وتأتى الترجمة الجديدة لجاك بيرك لمعانى القرآن وكل ما تتضمنه من انتقادات وتساؤلات وتلميحات ، وكل ما تتضمنه من نزعة استخفافية برزت من بين ثنايا عباراته المتحذلقة ، بجانب تلك المغالطات التى يشى الكثير منها بدرجة من درجات التعسف فى تناول الوقائع ، وبدرجة من درجات التواطؤ ، رغم كل ما يتناثر هنا وهناك من مديح أو إعجاب ، وذلك برمته يكشف الوجه الآخر لجاك بيرك .. الوجه الآخر الذى لا يظهر أبداً فى أحاديثه السيارة عن العرب والمسلمين ، أو حتى من إعجابه بالإيقاع والنغم فى عبارات القرآن !! .

ففى الأحاديث التى أجريت معه بصدد هذه الترجمة (القبس ، الأعداد السابقة) راح جاك بيرك يتشدق بكل صفات الإعجاب فى البناء اللغوى والأسلوب وكل من يحتوى عليه من أيقاع ونغم ، وبخاصة اهتمامه بالحفاظ على ذلك كله ، موضحا بذلك مدى صعوبة الترجمة ، بل مبرراً بذلك المغالطة الكبرى التى اقترفها فى الحفاظ على نفس ترتيب الكلمات العربية عند ترجمتها إلى الفرنسية.. الأمر الذى أضفى إبهاما لا ضرورة ولا مبرر له إلا تشويه المعنى .. وكل إنسان تعرض للترجمة يعلم أن من أبجدياتها حتمية تغيير مواقع الكلمات فى الجملة ، فى كثير من الأحيان ، بغية الحفاظ على وضوح المعنى ، وهو أول ما يطلب من المترجم .. إلا أن السيد جاك بيرك قد رأى عكس ذلك .. ومن هنا فإن ما قاله من مديح فهو قاصر على الشكل ،

إن أمكن القول ، اما حينما تناول المضمون القرآنى الذى كان يتعين عليه أن يلتزم بأقصى درجات الوضوح والأمانة العلمية والموضوعية ، فما كتبه يقول للأسف شيئا آخر ..

أن المحاور الأساسية التى تناولها فى المقدمة التحليلية تكفينا الكثير لإدانة هذا العمل المغرض ، وهاك بعض ما ورد فيها :

* التشكيك فى نزول وترتيب وتجميع القرآن : « إن المصحف لا يتبع الترتيب الزمنى للتنزيل ، والأكثر من ذلك كثيرا ما نجد بداخل نفس السورة آيات نزلت فى أوقات متباعدة ولا ترى العقيدة ولا يرى علم الإسلام أى قلق فى ذلك ... بل أن التنافر بين ترتيب النزول وترتيب الجمع يتسع أحيانا إلى حد التناقض كما فى سورة « الأنفال » وسورة « التوبة أو الوشاية » لدرجة أن الآيات تتلاحق فى الطبعات ولا تحمل العلامة التقليـدية التى تشيـر إلى بدايتها ، فتبدو وكأنها جزء مـن الآية السابقة » (صفحة ٧١٤ ، ٧١٥) .. وبعد عدة صفحات يضيف قائلا: « والمؤمن لا يتساءل بالطبع حول هذه التفاوتات الشكلية » (صفحة ٧١٩) .

* تأثر القرآن بالشعر الجاهلى وبالفكر اليونانى القديم (مؤكدا على ذلك فى أكثر من موضع) .

* تأثر القرآن بمزاميرداوود (وإن كان قد أشار إلى الحاجة لأدلة أكثر دقة حتى يمكنه اثبات ذلك) .

* احتواء القرآن لخط اسطورى ميثولوجى ىملسفة كوارثية النزعة للتاريخ .

* الإشارة إلى أهمية العقل فى القرآن ثم كيف أن نفس هذه العقلانية تؤدى إلى نوع من التأليهية فى الإسلام . وكأن هناك تناقض بين البلاغ والنبوءة الغامضة أو التى يشوبها الغموض إذ تفرض على المؤمن الإيمان بالغيب وبما يتعدى إمكانيات العقل ! وإن « الله فى القرآن يمكنه أن يتخذ الملامح الفلسفية المطلقة ، ويمد يده لما يمكن أن نطلق عليه اليوم علم الكائن الدينى . وهو لا يقل غوصا فى المجهول الذى لا يتوقف حتى عنده النزيل ، فهو لا يترك مساحات من الظلام فحسب وإنما يؤكد أنه

ينبع من هذه المناطق » . ثم ينتقد كيف أن الله يستخدم مختلف صيغ المخاطبة والمفرد والجمع مشيرا إلى نفسه وإن كثيراً مـن الآيات تنتهى بصفاته . ويحاول بكل هذا اللغو انتقاد التوحيد واثبات عكسه .

* فظاعة صورة الله كما هى واردة فى القرآن ، وكيف أن « القرآن يشير بروعة مرعبة إلى الإرتعادات التى ستنتابكم أمام الحاكم الأعلى ، أنها رجفة تجعل جلودكم تقشعر لمجرد نطق إسمه » ويغض الطرف عن كل ما فى هذه العبارة من مغالطة إلا أن الجدير بالذكر هو أنها المرة الوحيدة التى يوجه فيها حديثه ، فى هذه المقدمة المشحونة ، إلى القارىء مباشرة . مما يؤكد سوء نيته ومحاولته ترهيب القارىء من الله عز وجل كما هو موجود فى الإسلام وفى القرآن . وكيف أن هذا الرعب هو الذى يكمن فى أعماق المؤمن وكيف أنه يتعين عليه أن يعيشه بتناقضاته . ذلك « أن تلك الثنائية المزدوجة أو المتناقضة تؤدى إلى أنه يمكن عمل تحالف مع الله ، إذ أنه يستمتع بالمديح والصلوات بل ويمكنه أن يشعـر بالنـدم الرائع حيال المخطىء المعذب »وكيف أن المؤمن « ينساق لهذه القوى المرعبة الشافية الكامنة خلف كل هذه الصفات ومع ذلك تظل غير مفهومة بغرابة ، إلا أن الإنسان الضئيل يشعــر بأنه قـد أعفـى عنـه ، وأنه محبوب »! (صفحة ٧٦٠) .

أما النقاط التى تعرض لها غير دراسته اللغوية المزعومة أو التى تذرع بها ليبث سمومه وتشويهاته فى إطار يحاول التمسح بالأكاديمية واللغويات الحديثة من سميولوجيا وفينومنيولوجيا و سيمانطيقا وسميوطيقا ، فنورد منها على سبيل المثال أيضا :

* إنتقاده لمعيارية القرآن وأنها أبعد ما تكون عن التقنين ، بمعنى « أن كل ما لم يتم تحريمه يعد مباحاً . أى أن ذلك لا يعنى إلا أن الحياة الطبيعية هى مصدر القوانين والتصرف . إلا أن سرعان ما أدت التفاسير إلى أن يجد المؤمن نفسه يحاول أن يختلق لنفسه معيارا وفقا لكلام الله متخذا النبى كنموذج « والذى كانت حياته هى القرآن » (حديث لعائشة)وبذلك فكم نكون قد بعدنا عن الموانع والتقنين »(صفحة ٧٦٣) .

* إن القانون الإسلامى أو الفقه حاليا مكون من تراكمات قضائية غير واردة فى القرآن الذى لا يتضمن إلا حوالى خمسمائة آية تتضمن الأحكام « وأن أقل ما يمكن أن يقال هو أن القرآن لا يتضمن أية قوانين بالمعنى المفهوم ، لا فى العبارات ولا فى مفهومها » وأن القوانين أو الإصلاح القانونى الذى أجراه الإمبراطور جوستنيان القريب لإمرىء القيس قد انتقل بفضل التجار ، وإن العرب قد تلقوا أصداءه العديدة ، أى أصداء القانون المدنى والتنظيم الكنسى ، وبالتالى فهو يرى « أن القرآن يبتعد عن عمل حصر لمجمل القوانين ليبرز تشبيدا عاما للنماذج . فقد اهمل هنا شكلا من أشكال التشريع السائد آنذاك ، وذلك لا يمكن أن يكون من قبيل المصادفة ، فهل تم التفكير بشكل كافى فى هذا التناقض ؟ » .

أى أن السيد بيرك يرى أن القرآن قد استقى تشريعه من القوانين السائدة فى تلك الفترة دون الإشارة إلى ذلك !! وكل ما يحاول اختلاقه من تحريف هذا يرجع إلى قوله « إن النقاش الدائر حاليا لاستخراج تشريع من القرآن والسنة يثير اليوم عددا من البلدان الإسلامية أو الطبقات الإجتماعية والنفسية داخل هذه البلدان أو غيرها ، أكثر عدداً ، حتى أن ما اصبحوا يطلقون عليهم « أصوليين » باتوا يمثلون حركة أو على الأقل مرجعا سياسيا . ونقطة تمركزهم هى « الشريعة » التى يفهمونها على أنها « التشريع الإسلامى » وكثير من المسلمين يرفعون اليوم هذا القانون أو مطلبه، على أنه علامة للهوية الجماعية!! (صفحة ٧٦٥).

وهنا ندرك الدور السياسى الذى يحاول السيد جاك بيرك أن يلعبه من خلال هذه الترجمة التحليلية المزعومة لينفى بها أن القرآن يتضمن أصول التشريع الحالى ..

* ثم ينتقد غموض تعبير الأحكام – على حد زعمه – مما سمح للمفسرين القدماء بحريات من التصرف غير المقبولة من مذاهب أخرى ..

* ويشير عبر ذلك إلى تناقض الشريعة ومنها يخرج بالهجوم إلى الجماعات الإسلامية ويطالب بفصل الدين عن السياسة . والطريف هنا أن الغرب

يحاول اليوم اثبات أن المسيحية هى دين دنيا وآخرة ، وتتواكب الكنائس المحلية لتتضافر فى هذا التحريف الجديد لدين معروف أنه سماوى بحت ولا يتضمن أية آية تشريعية .. وفى نفس ذلك الوقت يحاول جاك بيرك توضيح أن القرآن لا يتضمن تشريعاً ، ثم ينتقد الذين يهاجمون العلمانية « ويعتبرونها هادمة للتجانس الذى يقيمه الإسلام بين الدين والفئات الأخرى للالتزام الإجتماعى ».. ثم ينتقد سفسطة الإستخدام الذى يؤدى إلى تحريف العقيدة أو النص القرآنى، وسوء فهم تعبير «دين ودنيا » ثم يضيف: « إن المرء ليدهش كيف يمكن اتخاذ هذه العبارة الثنائية كشعار من أعداء العلمنة ؟! ثم ينصح رجال الدين أن يظلوا « ربانيين » ويبتعدوا عن الدنيا وشئونها !! وبذلك يأتى السيد بيرك بإسلام جديد، ربانى ، لا علاقة له بشئون الدنيا ..

* أثارة قضية فتنة خلق القرآن من جديد . وأنه يرى أن القرآن كلماته عربية أو حتى قريشية بينما لغته قرآنية ..

* زعمه بتحريف القرآن للهوية الأساسية بالطريقة التى يتناول بها الأساطير الإنجيلية .. « فسواء أكان الأمر يتعلق بإبراهيم أو نوح أو يونس أو موسى فهو يحرف الأساطير إلى أنواع من الحوار المشبوب بعلم النفس الفارقى وبالطرافة ، والنبرة تحاول أن تبدو حكائية ودرامية . أى أن القرآن يحاول التحريف إلا أن أمره مكشوف للسيد الجليل ..

* أتهام المفسرين بالغاء بعض الآيات أن كانت تخرج عن قبضتهم ، أو تحريفهم لمعناها .

* أن النبى (ﷺ) كان يختار مما يوحى به إليه .. فالقرآن يغص بعناصر الطبيعة .. « ولنتخيل النبى أمام أحد المناظر الطبيعية فى نجد : الواحة الوارفة المنبثقة من الصحراء التى لا تعرف الخواء . أن التنويعه الكونية يمكنها أن تثير فى ذاكرته الإعرابية إحدى تلك الصور التى تراودها والمتعلقة بكلمات الإشعار المنشدة إلا أنه يكبح هذه الكلمات لكيلا يحتفظ منها إلا برمز رائع هو: التنزيل المنجم أو التنجيم ». ومن الواضح أن النبى

(ﷺ) فى نظره ينتقى مما يوحى إليه ويستبعد ما يمكنه أن يكشف شخصه.

* محاولته لإيجاد توازى بين الفكر اليونانى ومفهوم الله فى القرآن .

وبغض الطرف عن أن كل هذه الموضوعات وغيرها كثير قد قتلت بحثاً وحسمها جمهرة من العلماء ، فليست هذه هى جوهرالقضية هنا .. وإنما لا بد من الإشارة إلى اصراره الغريب ، منذ بداية المقدمة حتى نهايتها ، على تأكيد تأثر القرآن بالفكر اليونانى بأكثر من وسيلة ، سواء عن طريق اصداء فلاسفة الماضى وخاصة بارمنيدس (٥١٥ -٤٤٠ ق م) أو أصداء القانون المدنى وتقنين الكنيسة السورية . أى أنه عبارة عن تجميع من التراث والتاريخ دون أن يقولها صريحة واضحة . ثم يذهب فى نهاية تحليله إلى عمل نوع من التوازى بين الفكر اليونانى والإسلام ليعلن قائلا : « أن العصرية الدينية فى الإسلام تتلاقى فى الطبيعة حيث تعكس إعادة بناء نفسها . وهكذا فهى تعيد إحياء معطيات قرآنية لا جدال فيها . ومع ذلك ، أليس ذلك هو ما فعله الإسلام منذ البداية؟ لقد فعله بأن أخذ على عاتقه جزءاً من الميراث الجاهلى، بأن تقلد جزءاً من ميراث اليونانيين ، بعد أن فرض على كل منهما تعديلات استعلائية صارمة » (صفحة ٧٩٢) – ويالها من أمانة علمية صافية !! .

ثم يختتم هذه المقدمة قائلا : « أن مشكلة الإسلام اليوم هى إذن ذلك الانفصال الذى يمكنه أن يتفاقم بين مواقف العقيدة ومسيرة العالم الفعلية ، بل مسيرة العالم الإسلامى نفسه . فالإسلام يبحث عن ملجأ باتجاهه إلى الأصول . إلا أن عدم امكانية اخضاعها إلى النقد التاريخى ونقلها إلى الحاضر ، فإن ذلك لا يعيد لها قوتها الأصلية إذ أن « الذكر » الحقيقى هو الذى يحول الذكرى إلى مستقبل . وهى عملية خلاقة ، تدمج العصرية بالأصالة وتبدو لا غنى عنها فى مواجهة هذه التجديدات التى يجب على كل نظام فى العالم الحالى أن يقترح حلولاً ممكنة » .

ترى أية حلول وأية تجديدات وأى نظام ؟ ويسارع چاك بيرك بالإجابة فى الفقرة التالية قائلاً : « الثورة التقنية والعلمية التى تتعدى بالفعل مراحل لم

تصل إليها من قبل ؛ انعكاسات هذه الثورة المتزايدة فى التصرفات الفردية والجماعية ، التوحيد المتزايد للكرة الأرضية والتحديات الناجمة عنه ، بالإضافة إلى التصاعد الضمنى للنوعيات ؛ عناء العلماء القدامى ومتطلبات جماهير العالم الثالث فى مجال الرفاهية ، وحقوق الإنسان والحريات » ..

والمعنى الكامن هنا أن الإسلام لا يواكب التقنية والعلمية وتحديات العصر بعامة ، و « التوحيد المتزايد للكرة الأرضية » أو « التحديات الناجمة عنه » مقصود به عملية « إعادة تنصير العالم تحت لواء كاثوليكية روما » تلك الحركة التى يتزعمها البابا يوحنا بولس الثانى ويعتبرها معركته الكبرى .. وبالتالى فالإسلام لا مكان له فى هذه الحرب الضارية والإسلام المعنى هنا هو القرآن الذى قام السيد بيرك بترجمة معانيه وليس المقصود بكلماته المسلمون المعاصرون وإلا لكان لكلامه بعض المعنى ...

ثم يختتم چاك بيرك مقدمته المشحونة بالفقرة التالية : « وهنا يؤدى تساؤلنا إلى تساؤل أكبر : هل الديانات الإبراهيمية قادرة على تحقيق مجهود التأقلم فى المستقبل ، ذلك المجهود الذى يقع على عاتقها جميعا ؟ ترى بأية طريقة ؟ بأية شروط ؟ وبأى ثمن فيما يتعلق بالإسلام ، حيال هذه المهام ، فإن الصفحات السابقة تجعلنا نعتقد أنه ما زال أقل من الإمكانيات التى يتيحها له نصه الأساسى » (صفحة ٧٩٣) ! .

وبغض النظر عن محاولته المتعسفة للجمع بين الإسلام والمسيحية واليهودية فى صعيد واحد ، فها هو يقلل من بينها شأن الإسلام وحده ! أليس هو « ما زال أقل من الإمكانيات التى يتيحها له نصه الأساسى » ؟ .. وهل عز عليك أن تكون آخر كلمة مكتوبة لـه هـى « القرآن » حيث هـو « النص الأساسى » الذى يشير إليه ؟! ثم بأى حق يصدر حكمه بإدانة الإسلام بعد أن قام بتشويه صورته ؟ ألم يكن من الأنصاف أن يقصر نقده على المسلمين إذا ما كانوا مقصرين – فـى نظره – فى تعاليم دينهم ونصوصه ؟! .

ترى هل تتفق هذه الصورة أو هذا الرأى مع حقيقة الإسلام أو حتى مع

الإعجاب الظـاهرى الذى لا يكف عن التشدق به فى أحاديثه الصحفية ؟! ترى هل يتفق هذا الرأى و « الإطمئنان الروحى الذى كان يسعى إليه » ووجده فى القرآن (على حد قوله لمجلة الجهاد) ؟ أم أن ما جاء فى هذه المقدمة ، التى تقع فى اثنين وثمانين صفحة ، والتى لم نشر إلا إلى شذرات منها ، عبارة عن محاولة مغرضة للنيل من القرآن بزعم العصرية والحداثة والسفسطة اللغوية ليتمشى مع « متطلبات العصر » ؟ .

وكلنا نعلم وندرك تماما معنى ومغزى ذلك المطلب الذى يصر عليه الغرب حاليا ، والذى عبر عنه جان-كلود بارو فى كتابه عن «الإسلام والعصر الحديث » الذى صدر عام ١٩٩١، إذ قالها بصراحة أكثر وضوحا: « لابد من إعادة صياغة القرآن والسنة بمفاهيم عصرية جديدة وإلا على الإسلام أن يختفى »!! وهو نفس المطلب الذى دارت حوله العديد من البحوث فى مؤتمر كولورادو لتنصير المسلمين، الذى انعقد عام ١٩٧٨، والذى تأتى ترجمة چاك بيرك مواكبة لمطلبه . وهو ما يدرج أيضا ضمن تلك العمليات التبشيرية التى تشير إليها الصحف باقتضاب، وإلى تلك المصاحف المحرفة التى يروجونها ..

أما فيما يتعلق بأسلوب چاك بيرك وبمستوى ترجمته فلا يسع المجال هنا لتناولها بالكامل وإلا لاحتاجت إلى مجلد بأسره .. إلا أن ما تتضمنه من أخطاء لا يمكن أن يصدر عمن فى مثل مكانته المخضرمة أن يقع فيها إلا لمرض فى نفسه .. لذلك لا يسعنا إلا تقديم بعض النماذج للتدليل على سوء نيته المبيتة التى لا تتمشى مع كل ما زعمه من دقة وأمانة . ولنبدأ الفهرس :

لم نفهم حكمة السيد بيرك فـى عـدم اتباع منهج علمى واحد : فهناك عناوين سور لم يترجمهـا وإنما دون نطقها بالأحرف اللاتينيـة مثل سورة « الحجر » فكتبها Al Hijr وسورة « الأحقاف » Al Ahqâf ألم يستطع أن يجد لهما معنى أو تعليلا رغم كل التفاسير التى اطلع عليها ؟ ولا اعتقد أنها صعبة الترجمة إذ أنه استعان بأولى الآيات لترجمة عناوين أخرى ..

وقد استوقفتنا بعض الترجمات أكثر مثال سورة « الإسراء » فلم يكتف ترجمة معناها الذى حرفه إلى le trajet nocturne أى « المسيرة الليلية » وإنما

أضاف بعده عنوانا آخر هو « أو ابناء اسرائيل » وهو غير وارد فى المصاحف المتداولة . ونفس الشيء مع سورة « غافر » ترجمها إلى ما معناه « المؤمن أو المتسامح » le Croyant ou l'indulgent وغيرها كثير.. أما سورة « النصر » فقد ترجمها إلى« النجدة المنتصرة » ، le secours victorieux ! .

وهنا لا بد من وقفة فكلنا نعرف أن كلمة « النصر » معناها بالفرنسية victoire وبالإنجليزية victory، إلا أن جاك بيرك قد أصر على عدم استخدام هذا المعنى . فكلمة النصر التى ترد فى القرآن أحد عشر مرة ، وتصل تصريفاتها اللغوية إلى قرابة المائة مرة ، لم يترجمها مرة واحدة بمعناها الحقيقى. ففى سورة « البقرة » مثلا نرى «**حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله** » (٢١٤) ترجمها قائلا:

"l'Envoyé de Dieu et ses compagnons dans la foi s'écriérent : á quand le secours de Dieu"!

ومعنى ترجمته : رسول الله ورفاقه فى الايمان صاحوا : متى نجدة الله !

وفى نفس الآية نرى : « **أن نصر الله قريب** » ترجمها إلى :

" le secours sde Dieu est toujours proche " ! .

ومعناها : ان نجدة الله دائما قريبة .

ولا يسع المجال هنا لتتبع ترجمة هذه الكلمة فى كافة أشكالها ، إلا أنه ما من مرة إلا وترجمها بكلمة « النجدة » وأحيانا « المساعدة » أو ما شابه ذلك .. وكأنه يأبى كتابه النصر للإسلام أو أن الإسلام قد انتصر ! .

وسورة « الفتح » التى يتضمن معناها الجلى دلالة النصر قد ترجمها بتعبير Tout s'ouvre ! أى ما معناه : « إن كل شيء ينفتح » !! وهنا بادر جاك بيرك بوضع هامش يبرر فيه اختياره المغرض قائلا : « أن فتح اسم فعل يفتح ويقال عن الإنفتاح الذى تمنحه بعض الانتصارات للمنتصر على المكان ومعناها المجازى هو دخول فى المفتوح وهو ما نراه المعنى الأوضح بسبب الآية

الثانية والثالثة » (٥٥٤) !! .

ولا يسعنا إلا أن نكتب أول آية من سورة « الفتح »كنموذج على ثقل ومغالطة ترجمته فالآية تقول : « **إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً** » فترجمها قائلا :

"c'est bien Nous qui pour toi ouvrons l'ouverture éclatante "!!

وتعنى ترجمته : « أنه نحن الذين لك نفتح الإنفتاح المدوّى » ولست بحاجة للحديث عن ركاكة هذه الترجمة بغض النظر عن تحريف المعنى ..

أما سورة « الروم فترجمها باسم العاصمة « روما » إذ كتب Rome !! ومن الغريب أن يضع هنا أيضا هامشا يقول فى: «نقول روما لأسباب ترخيم الصوت أو التطريب Euphonie حيث كان لابد من وضع كلمة « البيزنطيون » بالطبع » (صفحة٤٣١) وياللمغالطة السافرة ! فمتى كانت الترجمة أو اختيار الكمات يتم من باب الترخيم والتطريب بعيدا عن المعنى ؟! .

أن أبجدية أصول الترجمة تعنى الأمانة فى نقل المعنى بأوضح ما يمكن. غير أنه لو كان قد كتب كلمة « البيزنطيون » لنقل ذهن القارىء إلى عصر الفتوحات الإسلامية، وهو ما يحاول تحاشيه أو التضليل عليه طيلة الوقت .

وسورة « المُلْك » ترجمها بكلمة la Royauté وتعنى « الملكية » ! علما بأن كلمة المُلك ومنها ملكوت الله موجودة فى الفرنسية ومستخدمة فى الإنجيل بعهديه .. وسورة « التكاثر » ترجمها إلى ما معناه « التنافس عن طريق العدد » :

Rivaliser par le nombre ، أية منافسة وأى عدد؟! .

ولا يتسع المجال هنا لاستعراض الفهرس بأكمله ولا كل ماتضمنه من أخطاء لا نعتقد أنها قد صدرت بصورة عفوية عمن فى مثل مكانته العلمية . . غير أن إصراره على اختيار بعض العبارات بعينها يزيد من تأكيد سوء نيته المتعمدة . فلم يستخدم أبدا كلمة مسجد فى الترجمة، ولها ما يقابلها فى الفرنسية وهى Mosquée ، بل أن المعروف لغويا وما يكتب فى القواميس الغربية أنها كلمة « من أصل عربى » ، وراح يكتب مكانها

sanctuaire وأحيانـا كلمـة Oratoire ! والمعـروف أن كلمـة sanctuaire مشتقة من اللاتينية وتعنى « جزء من الكنيسة حول المذبح حيث تتم فيه المراسم الطقسية » وقد تعنى« مكانا مقدسا بصفة عامة » وكلمة Oratoire مشتقة من اللاتينية أيضا ومعناها « كنيسة صغيرة مـن أجل استخدام جماعة معينـة » . فبأى حـق يترجـم « المسجـد الحـرام » (٩ / ٢٨) بتعـبير

Sanctuaire consacré ؟ .

وعندما ترجم سورة « الإسراء » : « **سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى** » (١/١٧) كتب يقول :

"O transcendance de celui qui fit aller de nuit, en un instant de la nuit, son adorateur de l'oratoire consacré á l'oratoire ultime . كما أن كلمة ultime معناها « النهائى » أو الأخير » فهل تعبر عن المسجد الأقصى والمقصود به المسجد القائم فى القدس ؟ أم أنه أبى أن يذكر كلمة المقدس لكى لا يربطها بالإسلام منذ ظهورة ؟! ثم ما معنى أن يضيف من عنده بعد كلمة « ليلا » عبارة " en un instant de la nuit" وتعنى « فى لحظة من الليل » وهو استطراد غير موجود فى الآية ولا مبرر له .

كما أنه لا يلتزم حتى بأختيار واحد من هذه الاختيارات المغرضة ، ولا يستقـر عليـها . فالمسجـد الحـرام يكتب تارة le sanctuaire consacré (١٤٤ / ٢) وتارة اخرى يكتب l'oratoire sacré (٢ /٥) . ومن أبجدية تعاليم الترجمة الألتزام بالتعبير الواحـد المقابل للفظ المعين وعدم تبديله حتى لا يلتبس الأمـر على القـارىء .. ونفس الشئ بالنسبة لكلمـة « الحـرام » (بمعنى القدس) فتارة يكتبها sacré وتارة أخرى يكتبها consacré ! .

أما عن عدم الدقة فى الترجمة فلا شك فى أن الخلفية القائمة على المغالطة والتجريح أحيانا هى السائدة . فمثلما استبعد كلمة « المسجد » وخاصة « المسجد الأقصى » وغيرها فعادة ما نراه يستبعد ما يمت إلى العقيدة ومراسمها أو يبدله . فتعبير « شعائر الله »(٢/٥) ترجمه إلى :

"les repérages de Dieu"وهذه الكلمة تعنى « وضع علامات » بغيه تعليم

الشئ (من العلامة). ولا تحمل المعنى الذى يعكسه تعبير كلمة rites (شعائر) المرتبط بالدين والذى كان يتعين عليه استخدامه .

وعلـى سبيل المثال أيضا فى عدم الدقة؛ نورد ترجمته لأحدى آيات سورة « يوسف »: « **فلما رأى قميصه قُدَّ من دبر** » (١٣ / ٢٨) ترجمها قائلا :

"sa chemsise était trouée par derriére " .

وتعنى ترجمته أن قميصه كان مثقوبا من الخلف !! علما بأنه قد ترجمها فى الآية / رقم ٢٥ : بأنها مزقت قميصه من الخلف : « واستبقا الباب وقدّت قميصه من دبر » كتبها :

"elle lui déchira la chemise par derriére "

فلماذا التغيير والنص واحد ؟ ترى هل جاك بيرك الضالع فى اللغة العربية – على حد قوله أيضا – لا يعرف أن : قدّ الثوب يعنى شقه طولا وأن كلمة trouer التى استخدمها معناها : يثقب أو يخرق ؟! وأن الفرق لشديد الوضوح والاختلاف بين شق الثوب طولا وبين خرقه ؟! .

أما اصراره على ترجمة كلمة « الألباب » بكلمة « النخاع » فيفوق أى تعليق .. ولو سلمنا جدلا بأن معنى Moelle (نخاع) المجازى فى اللغة الفرنسية يعنى « أهم ما فى الشيء فإن وقعها فى الترجمة يثير السخرية لدى القارىء ، ذلك لأن معناها الحرفى أو المباشر – أى النخاع – هو الأكثر شيوعا . ومع مراعاة أن كلمة الألباب ترد ستة عشر مرة فى القرآن وأنه لم يترجمها ولو مرة واحدة بمعناها المقصود أو المنطقى والذى يعنى « ذوى العقول والأفهام » لأدركنا مدى تجاوزاته .. وذلك على الرغم من وجود العديد من التعبيرات والمترادفات التى تشير إلى الألباب من غير لفظة نخاع التى اختارها ! .

وليت لبه أو نخاعه قد أدرك قدسية وعد الله بين المسلمين حتى لا يترجم آية : « **أن الله لا يخلف الميعاد** » (٩/٣) على النحو التالى :

"Dieu ne manque pas au rendez-vous "

وتعنى عبارته « ان الله لا يتخلف عن المواعيد التى يرتبط بها »

ترى هل يمكن أن يصل الاستهزاء من عالم هو عضو مجمع اللغة العربية بمصر كى يترجم لفظة «الميعاد» والتى تعنى وعد الله أو حتى وعيده بكلمة rendez-rous؟ (راند ڤو) بغض الطرف عن معناها الشعبى السائد .. ومن البديهى هنا أن المعنى المقصود بالميعاد هو الوعد. وكان لزاماً عليه أن يكتب :

"Dieu ne manque pas à sa promesse"

ففى المرات الست التى وردت فيها هذه الكلمة فى القرآن – ولا نتحدث عن تنويعاتها – ترجمها أربع مرات بتعبير (راند ڤو)، ومرة بمعنى اتفاق pacte ومرة واحدة بمعناها الصحيح، وذلك فى سورة « الزمر » : « **لا يخلف الله الميعاد** » (٢٠/٣٩) إذ كتب "Dieu ne saurait faillir à sa promesse" . أى انه يعرف معنى الكلمة لكنه يتعمد عدم استخدامها !

كما أنه أحيانا يبدل من نهايات الآيات مثلما فعل فى سورة « آل عمران » على سبيل المثال . فالآية الثالثة والتى تنتهى بقوله تعالى : « **وأنزل التوراة والإنجيل** » قد انهاها فى منتصف الآية الرابعة عند قوله « وأنزل الفرقان » وهو مالم نره عند غيره ممن ترجموا معانى القرآن .

ولنأخذ نموذجا أطول من سورة البقرة :

٢ : « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين »

voilá l'écrit que nul doute n'entache, en guidance á ceux qui veulent se prémunir .

وترجمته تعنى :

ها هو الكتاب الذى لا يشوبه (أو لا يلوثه) شيئ : كارشاد للذين يبغون أن يتزودوا .

بغض الطرف عن عدم دقة الترجمة : فهو استبعد اليقين الذى فى

صدق هذا الكتاب إذ أن الشائبة (أو التلوث) يمكن أن يكون نتيجة لأى شيىء؛ والذين « يبغون التزود » لا تعنى « المتقين » .

ولعلمه أن الترجمة غير صائبة ، فقد وضع هامشا يقول فيه أنه يمكنه ترجمة هذه الجملة بعدة طرق وفقا لما يتم اختياره من صفات ، وأنه قد اختار أكثر التفاسير شيوعا . ولعله أراد الإشارة إلى الطرق المتعددة لقراءة هذه الآية وفى كل الأحوال فإن ذلك لا يعفيه من عدم صواب الترجمة .

٣ : « الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون » :

Ils croient au mystère, accomplissent la prière,font dépense sur notre attribution .

وترجمته تعنى :

أنهم يؤمنون بالسر الخفى (أو بالغموض) ، يقيمون الصلاة ، ويصرفون من منحنا (أو من مخصصنا) .

وكلمة mystère تعنى الغموض ، وفى السياق الدينى تعنى سر الكنيسة المتعلق بالسيد المسيح والثالوث . كما أنها تعنى مسرحية دينية (مسيحية) فى العصور الوسطى .

ولتأكدة من سوء اختياره يبادر بوضع هامش يقول فيه : إن كلمة mystère غير مرضية تماما لكلمة « الغيب » ثم يغرق القارىء فى متاهات من التبرير .

كما أن الصياغة اللغوية غير سليمة . إذ يقول فيما يتعلق ببداية الآية « انهم يؤمنون » وهى صياغة تنسب الإيمان إلى تلك الفئة عامة ولا تعنى التخصيص لفئة بعينها ، التى تؤمن بالغيب الخ .

وكان بإمكانه أن يقول ببساطة :

Pour ceux qui croient à l'Au-delá , qui accomplissent la prière, et qui dépensent des biens que nous leur avons accordés .

٤ : « والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أُنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون » كتب يقول :

Ils croient, à la descente sur toi opérée, à celle avant toi opérée, ils ont certitude, eux, de la vie derniére .

وترجمته تعنى :

أنهم يؤمنون بالنزول الذى تم عليك ، وبالنزول الذى تم من قبلك ؛ لديهم يقين ، هم ، بالحياة الآخرة .

وبغض الطرف عن ركاكة الترجمة ، فإن كلمة « النزول » هنا تعبر عن حركة النزول المقابلة للصعود ، أى أنها لا تدل مطلقا على التنزيل أو على تنزيل القرآن أو الرسالة وهو ما تحاشى ترجمته حتى لا يوضح أن الإيمان بالغيب من أسس الإسلام مثلما هو من أسس العقيدة المسيحية الخالصة .وكان بإمكانه أن يترجم قائلا :

ceux que croient à ce qui t'a été révélé et à ce qui a été révélé avant toi, ceux qui croient fermement en la vie future .

٥ : « أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » :

ceux-là suivent la guidance venue de leur seigneur : ce sont eux les triomphants .

وترجمته تعنى :

هؤلاء يتبعون الإرشاد الذى أتاهم من ربهم : أنهم هم المنتصرون :

وترجمه الهدى بالإرشاد غير سليمة ، وكذلك ترجمة المفلحون بالمنتصرين . وفى الهامش التفسيرى الذى كتبه لهذه الآية يقول : « يلاحظ الوضوح القاطع لهذا الـ catéchisme . والذى لا يقلل من صعوبة الترجمة » وكلمة catéchisme هذه تعنى كتاب التفسير الدين المسيحى !

وكان بوسعه أن يقول « الوضوح القاطع لهذه الآية » أو « لهذا النص

القرآني » بدلا من اتمام مصطلحات مسيحية لا ضرورة لها فى هذا السياق خاصة وأن القرآن هو النص المنّزل وليس بكتاب تفسير دينى ثم يقوم بتبرير عدم استخدامه لتعبيرالتنزيل ...

كما أن قوله تعبير « هم المنتصرون » يشير أو يعود على أولئك الذين يؤمنون بالسر الكنسى وهو مالا يتفق ومعنى الآية بغض الطرف عن أنها لا تعنى « المفلحون » .

٨ : « ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين » :

Il s'en trouve parmi les gens pour dire : Nous croyons en Dieu et au jour dernier sans être pour cela des croyants .

وتعنى ترجمته :

يوجد من بين الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وليسوا من أجل ذلك بمؤمنين .

وإن أمكن تقبل هذه الترجمة جدلا ، رغم ما بها من تطويل يفقد تركيز النص أو إيجازه ، ألا أنه وضع لهذه الآية هامشا يقول فيه :

« هنا يبدأ ذلك العرض السيكولوجى الممتد ، والذى انحصر فى الفترة المكية فى فئة واحدة من المعارضين « هم الوثنيون » ومن الواضح إن تعبير الآية « وما هم بمؤمنين » يشمل كافة الفئات العقائدية . إلا أن كتابته لهذا الهامش الذى يحصر عدم الإيمان فى الوثنيين فحسب لا معنى له إلا محاولته نزع صفة عدم الإيمان عن المسيحيين واليهود وقصرها على الوثنيين . وهو ما يتعارض مع الآية ويكشف عن نيته المغرضة فى الترجمة . فالكلمة عامة لا تحتاج لهذا التخصيص الذى كان وسيلة للزج بالهامش الذى أضافه .

١٠ : « فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون »

Il y avait une maladie dans leur cœur : Dieu les grandit en maladie; il leur revient un châtiment douloureux; à la mesure de leur mensonge .

وترجمته تعنى :

كان هناك مرض فى قلبهم : فأكبرهم الله فى المرض؛ وسيعود عليهم عذاب أليم على قدر (أو بمقياس) كذبهم .

ومن الواضح هنا أن المرض ليس مرضا عضويا وإنما يعنى الشك فى الإسلام أو النفاق وما إليها . فما كان له أن يترجمها حرفيا وإنما بالمعنى الواضح والمقصود .كما أن العذاب الذى سينالونه ليس بقدر أو بمقياس ما كانوا يكذبونه وإنما بسبب ما كانوا يكذبونه . وكان يتعين عليه أن يترجم قائلا :

Ils avaient le coeur hypocrite et Dieu laissa croitre cette hypocrisie ; ils auront un châtiment douloureux pour ce qu'ils démentaient.

١١ : « وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون » :

Si on leur dit : "gardez-vous de faire dégât sur la terre", ils répondent : "meilleure nous la rendons " .

وترجمته تعنى :

إذا قيل لهم تحاشوا عمل خسائر على الأرض ، قالوا أفضل نجعلها .

ومن المؤكد أن كلمة الفساد لا تعنى الخسائر إذ أن المعنى الأساسى أو البديهى للفساد الفساد اخلاقى أو معنوى ، أما الخسائر فمادية . وقوله « أفضل نجعلها » ليس ترجمة أمينه لقوله تعالى « إنما نحن مصلحون » . إن المترجم يلجأ إلى كلمات مجازية حينما تفتقر اللغة التى يترجم إليها إلى المصطلح المقابل . لكن ما القول فى عدم غياب المصطلح ؟ الأمر الذى يوضح مدى فهمه أو احساسه باللغة العربية لكى لا نشير الى سوء نيته او الى استخفافه فكان عليه أن يقول مثلا :

Si on leur dit ne semez pas la corruption sur la terre, ils disent : mais nous sommes des réformateurs .

١٣ : « وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون » فكتب قائلا :

Si on leur dit : "croyez comme croient les vrais hommes " ils répondent : Nous croirions, nous, comme croient les sots ?" sauf qu'ils sont bien, eux, les sots, mais ils ne le savent .

وترجمته تعنى :

إذا قيل لهم آمنوا كما آمن الرجال الحقيقيون أجابوا أنؤمن نحن كما يؤمن الحمقى (أو البلهاء) ؟ إلا أنهم هم الحمقى لكنهم لا يعرفون .

وكلمة « السفهاء » فى أبسط القواميس والمعاجم كما فى كتب التفاسير تعنى « الجهلاء » فكيف يترجمها بالحمقى أو بالبلهاء ؟ أن هذه الإشارة فى الآية تقع على المسلمين الذين آمنوا والذين هم « جهلاء » فى نظر المخادعين . إلا أن السيد بيرك قد آثر أن يطلق عليهم حمقى أو بلهاء !

ولو كان أمينا يتوخى الدقة كما يزعم ، كان يجب عليه أن يضع كلمة ignorant وليس sot التى لا تكشف إلا عن أعماقه وموقفه .

١٦ : « أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين » .

ceux qui auront acheté l'errance contre la guidance ehs bien ! leur négoce n'aura pas gagné ils ne se seront pas bien guidés .

وتعنى ترجمته :

أن الذين اشتروا الترحال (أو التجوال أو التسكع) بالإرشاد ، إذن ، فإن تجارتهم الكبيرة لم تربح لأنهم لم يسترشدوا أنفسهم جيدا .

أن اختياره لكلمة errance التى لا تشير إلى الضلال أبدا وإصراره على وضع كلمة إرشاد guidance بدلا من الهدى ، لا معنى له إلا إصراره على استبعاد المعنى الدينى الذى تتضمنه الآية .. وكان عليه أن يختار ما بين

كلمة égarrement أو désorientation وإن كانت هناك كلمة أكثر دقة للمعنى المطلوب وهى : fourvoiement . فاللغة الفرنسية لا تفتقر إلى المفردات الصحيحة !

وها هـو يضع هامشا كعادته للتبرير ، راح يفسر فيـه لماذا اختار كلمـة « إرشاد » لكلمة « الهدى » وكل ما جاء به ليس أكثر من تبرير فيما لا سبيل لتبريره . وكان بوسعه أن يقول ببساطة :

Ceux qui achètent (ou troquent) le fourvoiement contre la voie droite (ou la bonne voie) leur commerce est sans profit, ils n'étaient pas dans la bonne voie .

١٨ : « صم بكم عمى فهم لا يرجعون » .

Sourds, muets, aveugles, perdus sans retour .

وتعنى ترجمته :

صم بكم عمى ، ضائعون بلا عودة !

وبخلاف عدم الدقة فى الترجمة ، فإن قوله « ضائعون بلا عودة » يتضمن حكما قاطعا بالضياع ، فى حين تعبير الآية يشير إلى أنهـم لا يرجعون إلى الهداية التى كانـوا عليهـا أو لا يرجعـون عـن قرارهـم هـذا بعـد . وكان بإمكانه أن يكتب قائلا :

ils ne reviennent pas sur leur choix (ou vers la bonne voie) .

١٩ : « أو كصيِّب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم فى آذنهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين » :

Ou bien c'est comme une nuée d'averse dans le ciel, chargée de ténèbres, de tonnerre et d'éclairs; ils s'enfoncent les doigts dans les oreilles à chaque coup de tonnerre pour échapper à la mort - Dieu encercle les dénégateurs .

وتعنى ترجمته :

أو أنه كسحابة ممطرة فى السماء مثقلة بالظلمات والرعد والبرق ؛ أنهم يدخلون أصابعهم فى آذانهم مع كل طلقة رعد ليفلتوا من الموت . أن الله يحيط بالمنكرين (أو بالنافين) .

وأول ما يلفت النظر فى هذا السياق ، بخلاف عدم الدقة فى الترجمة والتطويل الذى لا داعي له ، فالصيب هو المطر وليس « السحاب الممطر فى السماء » هو أنه يبدأ الجملة ببنائها للمجهول ، فى حين أن المقصود بالتشبيه هنا هم « الضالون ».. ثم نراه يستعمل تعبير يدخلون أصابعهم فى آذانهم مع كل طلقة رعد بدلاً من « يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق » . والرعد لا يعنى الصواعق . وكلمة صاعقة موجودة بالفرنسية وتعنى foudre .

أما استخدامه تعبير dénégateurs وتعنى المنكرين وهى مشتقة من النفى أو الإنكار ، فلا يدل مطلقا على المعنى المقصود بكلمة كافرين . وهناك ما يقابلها بالفرنسية وهى mécréants أو incroyants .

إلا أن هذا الاختيار يتمشى مع ما قاله فى التمهيد ، أو فى تلك الصفات الخمس الأولى ، والتى لا عنوان لها ، حيث راح يبين فيها اختياره لترجمة كلمة « كافر » إلى ما معناه « يخبىء » ، مثال« يخبئ الحقيقة» أو فعل الخير ، أو صفة حميدة الخ » .. لأن الكلمات المشتقة من فعل « أنكر » تعبر بسهولة أكثر عن هذا المعنى فى لغتنا ، إلى جانب ميزة هذه الكلمة فهى تتضمن فى اشتقاقاتها الفعل والإسم والصفة . ولقد جازفت باستخدام هذه الكلمة الجديدة « إنكار » والتى اقرها قاموس littré و قاموس Robert ، ذلك الذى اقرها أكثر من كلمات « فرنجليزية » أخرى مثال sur-in أو سوبرمان Superman » (صفحة ١٥) .

ولا نفهم أى معنى لهذا الهامش الذى يتوه فيه القارئ، والذى لايدل إلا على محاولة تبرير مالا تبرير له ، أو محاولة تبرير سوء نية مبيته منذ البداية ، بل إنه سوء نية مع سبق الأصرار .

ذلك أن كلمة « كفر » معناها العام الشائع والأساسى هو : « من لم يؤمن بالوحدانية ، أو النبوة ، أو الشريعة ، أو بثلاثتها » وهو المعنى المقصود فى آيات القرآن .

أما المعنى الذى اختاره السيد بيرك وهو : « يخبئ » ، وهو غير المعنى المقصود هنا ، كما أنه لابد وأن يكون مصحوبا بكلمة « الإيمان » فى السياق الدينى أى أن الشخص قد خبأ إيمانه . وإن كانت كلمة dénégateur التى اختارها تعنى - كما أوضحنا - المنكر أو النافى .

فبأى حق يستبيح السيد بيرك لنفسه أن يترك المعنى الأصلى أو المقصود لغويا ليستعين بمعنى مجازى أيا كانت تبريراته ومسمياته ، إلا أن لم يكن ليستبعد صفة « الكفر » عن بنى جلدته ؟! .

ولا يفوتنا التنويه إلى أن كلمة « كافر » لها ما يقابلها بالفرنسية، وهى mécréant ، وحتى ان كان الفعل غير موجود جدلا ، فكان بمقدوره استحداثه وهو : mécroire وكذلك الإسم وهو mécréance !! .

وكان بمقدوره أن يترجم قائلا مثلا :

Ou bien ils sont telle une averse du ciel, pleine de ténêbres, de Tonnerres et d'éclaires; ils se mettent les doigts dans les oreilles á cause des foudres et craignant la mort ; mais Dieu cerne les mécréants de tous les côtes .

٢٠ : « يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيئ قدير » ترجمها قائلا:

L'éclair manque leur emporter la vue ; chaque fois qu'il les éclaire , ils marchent dedans ; quand sur eux reviennent les tenébres, ils se figent ; si Dieu voulait, Il leur emporterait la vue.- Dieu est omnipotent .

وتعنى ترجمته :

كاد البرق يخطف بصرهم ؛ كلما أضاء لهم مشوا بداخله ؛ وعندما تعود عليهم الظلمات يتصلبون ؛ ولو شاء الله لأخذ بصرهم ، إن الله على كل شئ قدير .

وأول ما نشير إليه هو أن سيادته قد نسى ترجمة « بسمعهم » ، ثم ركاكة الترجمة الحرفية لتعبير « مشوا فيه » ؛ إذ كتب قائلا « مشوا بداخله » ، فى حين أن المعنى الواضح والمقصود هنا هو أنهم مشوا على ضوء البرق وليس بداخله ! وكذلك كلمة : « قاموا » فقد ترجمها بما معناه تجمدوا أو تصلبوا ، فى حين أن معناها التوقف أو الوقوف حيرة وكان بوسعه أن يترجمها قائلا :

L'éclair a failli leur oter la vue; chaque fois qu'il les éclairait, ils marchaient á sa clarté; et si l'obscurité les entourait , ils s' arretaient .Si Dieu le voulait, Il leur emporterait l'ouie et la vue. Dieu est omnipotent .

٢٦ : « إن الله لا يستحى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها » :

Dieu ne répugne pas de tirer semblance d'un ciron ni de ce qui le dépasse .

وقد ترجم « بعوضة » بكلمة "Ciron" ، وهى من القراديات ، وتعنى عتة الأطعمة ، أو دودة الجبن ، أو ما يوجد فى الأطعمة الفاسدة وفى الفضلات من ديدان . والاختلاف واضح من القراديات وذوات الجناحين، التى منها البعوض ، وتعنى بالفرنسية moustique .

ونظرا للدقة العلمية البالغة لمعطيات القرآن – وهو ما تناوله العلامة الفرنسى موريس بوكاى فى كتابه المعنون : « التوراة ، الإنجيل ، القرآن والعلم » ، الذى أثبت فيه أن كافة المعطيات الواردة فى التوراة والإنجيل لا تصمد أمام التحليل العلمى ، فى حين أن كافة معطيات القرآن صامدة صحيحة ، حتى ما لم يصل إليه العلم إلا حديثا .

ولا شك أن لله حكمته فى اختيار « البعوضة » للتعبير عن أقل

المخلوقات شأنا ، فلا يحق للسيد بيرك أن يستبدل الكلمات ، سواء أكان إهمالا أم وفقا لما فى نفسه من أغراض، أو حتى من باب الترخيم كما يقول أحيانا!!

وها هو يسارع - كالمعتاد - كلما اقترف تحريفا ما ، أن يكتب هامشا تبريريا ، وهنا كتب يقول : « إن الترجمة هنا مجازية وقد استعرنا كلمة ciron من بسكال » . وما شأننا هنا وبسكال ؟ بل إنه لم يكتب المجال أو السياق الذى استخدم فيه بسكال هذه الكلمة !!

٣٠ : « **وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة** » ترجمها قائلا:

lors ton Seigneur dit aux anges : " je vais instituer un lieutenant sur terre " .

وهنا قد ترجم « خليفة » بكلمة "lieutenant" وتعنى رتبة عسكرية فى معناها الشائع ، أى ملازم أو قائمقام . ومعناها المجازى : من ينوب عن الرئيس وفى كلا الحالتين لا تتفق والمعنى الوارد فى القرآن ، وهو: « قوم يخلف بعضهم بعضا » كما هو واضح من سورة الأنعام آية ١٦٥؛ إذ يقول تعالى: « وهو الذى جعلكم خلائف الأرض »، أو كما هو وارد فى سورة النمل الآية ٦٢ : « **ويجعلكم خلفاء الأرض** » .

وقد ترجم السيد بيرك آية الأنعام بكلمة "Successeurs" ، وآية سورة النمل بكلمة "lieutenant" . أما الأية ٢٦ من سورة ص : « **يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض** » ، وهى أقرب الصيغ إلى آية سورة البقرة ، فقد ترجمها هنا بكلمة "lieutenance" ، أى «ملازمية » وهى مشتقة كصفة للرتبة العسكرية .

ونخرج من هذا التحريف الذى لا معنى ولا ضرورة له سوى اسقاط المعنى العسكرى على القرآن وفرضه كصفة أساسية للإسلام ، تتمشى مع ما يحاول الغرب فرضه منذ قرون ، من أن الإسلام لم ينتشر إلا بالسيف .

٣٤ - « ... **إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين** » :

á l'exception d'Iblis . Il s'y refusa par orgueil : le premier des dénégateurs .

وتعنى ترجمته :

إلا إبليس : رفض من باب التكبّر : أول المنكرين (أو النافين) .

وبخلاف سوء الترجمة ، نلاحظ أن عبارة « أول المنكرين » لا تتفق ومعنى الآية التى تضاهى إبليس بالكافرين أو تضعه فى مصافهم . وهنا أيضا نرى إصراره على تحريف معنى كلمة « الكافرين » لاستبعادها عمن كفر من أهل الكتاب ..

٣٧ - « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم » .

Or Adam recueillit de son Seigneur certaines paroles, le Seigneur sur lui S'était répenti , car Il est l'enclin-au-répentir, le miséricordieux .

وتعنى ترجمته :

إن الله هو الذى تاب وليس آدم؛ لأن الله يميل إلى التوبة!!

ولا يمكن القول بأن هذه الترجمة قد أتت سهواً من سيادته ، إذ إنه يكررها فى الآية ٥٤ من نفس سورة البقرة : **« فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم »** فترجمها قائلا :

Et pourtant, Il S'est repenti à votre endroit . Il est l' Enclin-au-repentir, le misericordieux .

ومعنى ترجمته :

ومع ذلك ، فلقد تاب الله بدلا منكم لأنه يميل إلى التوبة

وهنا يسارع بوضع هامش يقول فيه :

(تائب) ، (يميل إلى التوبة) قد يبدو من غير اللائق أن نضفى إلى اللـه « توبة » فى نطاق أن المرء لا يتوب إلا عن خطأ ، وبالطبع ليس ذلك

هو الوضع هنا . إن الترجمة لم تضطر إلى أن تستبعد عن نظرها وحدة العبارة التى تضفى هنا على الله وعلى الإنسان ، فالإنسان يرجع عن خطئه أما الله فيرجع عن صرامته . إن الأصل العربى توب يطلق عادة لاقتراح فعل الرجوع أو العدول عن شئ وفى نهاية المطاف إن ما جعلنا نحسم اختيار (يتوب) هو أن هذه العبارة وفقا لقاموس Littré يمكنها أن تعنى أيضا (تغيير القرار) ، كما أنها قد استخدمت أيضا للإشارة إلى الله فى كلام الإنجيل » (صفحة ٣٢) .

ومن الاستهزاء بالقارئ أن نراه يكتب « إن الترجمة لم تضطر » وكأنها بعيدة عنه أو كأنه برىء منها ، فهى التى لم تستبعد وحدة العبارة الخ ..!! ثم يزيد الطين بلة بأن يبرر فعلته هذه بأن ذلك هو المتبع فى « كلام الإنجيل » متناسيا أن رب الإنجيل تم تأليهه فى مطلع القرن الرابع ، وأن الله عز وجل لم يكن له كفوا أحد ! إلا أن إصراره هذا لا يرمى إلا لإيجاد تشابه بين فكرة « الله – الإنسان – المخلص – يسوع » فى المسيحية ونصفها بالإسلام .

وهذه ليست المرة الوحيدة التى يضفى فيها بيرك صفات الأنسنة على الله عز وجل ، وانما كررها فى اكثر من موضع .. مما يدل على اصراره عليها وعلى ما نقوم به من دس لمفاهيم لا وجود لها فى الاسلام ، الا ان تكرارها يرسخها فى ذهن القارىء للفرنسية – فهو المستهدف خاصة بهذه الترجمة المغرضة .

٤٣ – « وأقيموا الصلاة وآتو الزكاة واركعوا مع الراكعين » :

accomplissez la prière, acquitez la purification, inclinez-vous avec ceux qui s'inclinent .

وهنا قد ترجم كلمة « الزكاة » بكلمة "purification" ، وتعنى « التطهر » !! إن الزكاة من أركان الإسلام ، ومعناها معروف وترجمتها معروفة ، وهى l'aumone légale أو l'impot légal بل هناك من يكتبونها بالأحرف اللاتينية "Zakàt" من شيوع معناها ...

وكالمعتاد يبادر السيد بيرك بدرء فعلته بهامش تبريرى يقول فيه : « إن عبارة (تطهر) بدت فى نظرنا أقرب إلى المعنى الاشتقاقى لكلمة (زكاة) ، ومن المهم تحديد هذه التنويعة بما أنه لا يوجد ما يؤكد المعنى التأسيسى والضريبى » (صفحة ٣١) !!

أما عبارة « **وسع كرسيه السماوات والأرض** » (الآية ٢٥٥ من نفس السورة فالمعروف أن كلمة الكرسى هنا بمعنى العرش ، وهو تعبير مجازى للإشارة إلى الضخامة والاتساع ، إلا أنه ترجمها بكلمة siège أى مقعد ! ثم يشرح فى الهامش قائلا : «(مقعده) تعد ترجمة ضئيلة لكلمة كرسى . إن هذه الآية شديدة الأهمية دينيا وتسمى آية الكرسى ، وهو يحمل معنى العرش مجازاً » صفحة ٦٣ .

ومن الواضح أنه يدرك معناها وأهميتها ، فلماذا الإصرار على اختيار لفظ لا يروقه؟ بل لماذا يختار كلمة تغاير النص ؟!

وفيما يلى نموذج آخر من سورة المائدة :

١ - « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود »

"vous qui croyez, remplissez intégralement vos contrats ! (p 120)

وقد ترجم كلمة « العقود » إلى معناها الحرفى اللغوى : تعاقد (أى كونتراتو) فى حين أن معناها الدينى هنا : العهد الموثق .

وأتت ترجمته كالآتى :

يا أيها المؤمنون أوفوا تعاقداتكم (أو كنتراتاتكم بالتمام) !

ثم كتب فى الهامش موضحا أو مبرراً كالمعتاد: « تعاقدات » (عقود) : ليس بغريب أن ينص على هذه العبارة وفى هذه الآية فقط، لأنها تتعلق بقانون مدنى أكثر من كلمة « عهد » أو «ميثاق » . والانتقال المباشر إلى مفاهيم من نمط آخر ، منذ الجملة الثانية قد أثار دهشة الزمخشرى . إن التركيز فى هذه الجملة الثانية معطى على كل حال كعلامة تمييز . ترى لو رأينا هنا علاقة ما بين الوصفات الشعائرية التالية وهذا الاستهلال التعاقدى ، هل يعد لويا للنص ؟ فيما يتعلق بالقوانين القديمة التى تدخل فى العهد أو فى الميثاق

فإن القوانين الإسلامية تبدو بذلك كتقدم فى المستوى .. »

٢ - « ولا الهدْى ولا القلائد ...»

ni l'animal d'offrande, ni les guirlandes (p 121)

والهدى : هو ما يُهْدَى إلى الكعبة من الأنعام ، والقلائد : مقصود بها ما يقلّد به الهدى فى عنقه ، والمقصود بها ذوات القلائد من الأنعام ، فترجمها بالفرنسية إلى « أكاليل » guirlandes أى أن أكاليل الزهور محرم أكلها !! ولا نعتقد أن أكاليل الزهور تؤكل !

٢- « إن الله شديد العقاب » ... :

Dieu est terrible en Sa punition .

أى : إن الله فظيع فى عقابه !

٣ - « إلا ما ذكيتم ... » :

...,sauf aprés purification (p 121) .

والآية تعنى نوعيات التحريم فى الأغنام وغيرها « إلا ما أدركتم ذكاته بالذبح وفيه رمق » إلا أن ترجمته تعنى العكس تماما ؛ إذ قال بعد سرد المحرمات إلا بعد تطهيرها » ، وبذلك يصبح أكل الميتة والدم ولحم الخنزير حلالا إذا تم تطهيرها !!

٤ - «قل أحل لكم الطيبات وما علّمتم من الجوارح مكلّبين تعلموهن مما علمكم الله »

Réponds : " vous sont rendues licites les choses bonnes ! " ... et puis, les rapaces devenus tels des chiens que vous instruisez d'une parcelle de ce dont Dieu vous a instruits vous- mêmes .

وتعنى ترجمته :

أجب: « أُحل لكم الأشياء الطيبة! » .. وثم الجوارح التى أصبحت

كالكلاب والتى ستعلمونها جزءاً مما علمكم الله أنتم أنفسكم .

وما أبعد معنى ترجمته التى يقول فيها إن أكل الجوارح حلال بعد أن تصبح كالكلاب ، بعد أن يتم تعليمها جزءاً مما علمنا الله !! فى حين أن الآية تعنى ما يتم صيده بالكلاب المعلّمة أى المدربة .

٥- « أجورهن ... فى الآخرة »:

salaire ...,... vie dernière .

مازال مصـرا أو مواصلا لترجمـة هاتين العبارتين بمعنى « المرتب » و « الحياة الأخيرة » .

٦ - « أو جاء أحد منكم من الغائط » :

ou revenez de la selle

وتعنى ترجمته :

أو كنتم عائدين من البراز .

وبخلاف تعميمه ، فى حين أن الآية توضح: « أحد منكم » ، وكأن المؤمنين يخرجون إلى الخلاء جماعات كلهم فى آن واحد !

واستخدامه لاسم المادة الفضلية بهذه الفظاعة منفر للقارئ ، وما أكثر العبارات الفرنسية التى كان بوسعه الرجوع إليها ليختار أكثرها أدبا وحرمة للقرآن .

٧ - « إن الله عليم بذات الصدور » :

Il est Connaissant de l'être des poitrines .

أن ترجمته الحرفية لكلمة «صدور » بـ Poitrines تفقد الآية معناها ، إذ قال : إن الله يعرف الإنسان الخاص بالصدور ، وكأنه شخص متخصص فى الشئون الصدرية ! ومن البديهى ان المقصود بها القلوب والضمائر وليس الصدر ..

٨ - « ...كونوا قوامين لله » :

assumez Dieu .

وكلمـة assumez التى اختارهـا مـن الكلمات الفرنسية التـى تعنـى « تقلد » ، ويتغير معناها وفقا للكلمة التى تصاحبها ،كأن يقال : تحمل المسئولية ، نهض بالأعبـاء ، تبوأ الحكـم ، تسلم القيـادة ، فكيف يمكـن « تقلد الله » أو « النهوض به » أو « تبوأه » الخ .. فكيف يمكن لهذه العبارات أن تستقيم إذا اقترنت بالله ؟

وكعادته يسارع بوضع هامش يقول فيه :

« (تقلد) assumer : إننا نحاول أن نترجم « قوامين » بكلمة assu-mer واضعين فى الاعتبار الآية المماثلة - إن امكن القـول ، وإن كانت عكسية ، من سورة النساء ورقمها ١٣٥ ، وإن كانت العدالة هى المعنية . وهذه السيمترية بين مفهومى (الله والعدالة) لها معناها ، إذ أن المصدر قسط يبدو صالح للاستعارة ومن مناخ متجانس » .

ومهما كتب من تبريرات متحذلقة لا معنى لها سوى التشويش على خطئه ، فإن ذلك لا يعفيه من فداحة سوء الترجمة وتعمد الإساءة .

١٢ - « ... لأكفرن عنكم سيئاتكم » :

oh ! que je passe sur vos mauvaisétés .

وتعنى ترجمته :

آه ، لأغضن الطرف عن شروركم !

وكلمة mauvaieté التى اختارها يقول عنها قاموس بيشريل طبعة ١٨٦٦ إنها كلمة قديمة وغير مستخدمة من زمن بعيد ... وذلك إلى جانب أنها لا تعطى المعنى المقصود . وبدلا من هذا التحريف الساخر كان بوسعه أن يقول ببساطة ، على سبيل المثال :

je vous pardonnerai vos mauvaiseté actions, (ou vos méfaits).

١٧ - « لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم » :

Dénégateurs sont ceux qui assimilent à Dieu le messie fils de Marie .

وتعنى ترجمته :

منكرون هم الذين يماثلون (أو يقارنون) المسيح ابن مريم إلى الله .

وما أكبر الفرق بين عبارة « الذين قالوا إن الله هو المسيح » وهو ما تم بالفعل فى مجمع نيقيا الأول ، فى مطلع القرن الرابع الميلادى ، حيث تم تأليه السيد المسيح لغلق باب النبوة على سيدنا محمد (ﷺ) ، وبين صياغة السيد بيرك إذ استخدم فعل "assimiler" ويعنى : يماثل ، يقارن ، يشّبه .

وهو بذلك يسقط أية إدانة عن التحريف المسيحى ، فرجال الكهنوت لم يشبهوا المسيح بالله وإنما قالوا « إنه هو الله » مثلما جاء فى القرآن .. وترجمته بها تحريف واضح .

٢٢ - « قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين » :

Ils lui dirent : " MoÏse, il y a dans ce pays un peuple de colosses .

كلمة Colosses عادة ما تشير إلى التماثيل الضخمة ، وهو معناها الشائع ،وكان الأفضل أن يختاركلمة oppresseur أو Tyran أو impitoyable وهو ما يتمشى بشكل أوضح مع معنى الآية .

٢٦ - « قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض » :

Il dit cette contrée leur fut en conséquence interdite quarante ans, durant lesquels ils demeurèrent par la terre errants .

وقد ترجمها إلى صيغة الماضى (وهو عكس صيغة الآية) قائلا : قال: وهذه البلد بناء على ذلك قد حرمت عليهم لمدة أربعين عاما ظلوا طوالها هائمين فى الأرض .

٢٨ - « ... فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين » :

"et sois donc parmi les compagnons du feu" .. C'est la récompense des iniques .

وتعنى ترجمته :

... وكن إذن من بين أصحاب النار ... إنها جائزة الظالمين .

وترجمة « جزاء » بما معناه « جائزة » أو « مكافأة » لا يتفق ومعنى الآية ، وذلك لأن معنى الجزاء يتحدد وفقا للخير أو الشر ، وفى الفرنسية هناك ما يقابله فكلمة récompense تستخدم مكافأة العمل الخير ، وكلمة rénumération أو pénalité وغيرها للتعبير عن جزاء الشر أو عكس الخير .

ثم فى بداية الآية ٣٣ يستخدم كلمة rétribution (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) . وأقل ما يقال هنا عدم ثباته على المصطلح الواحد للمعنى الواحد .

٤٤ - « إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله » :

c'est nous qui avons fait descendre la torah, où il y a guidance et lumiére, pour qui les prophétes se soumettant à Dieu jugeassent selon les normes entre les adeptes du judaÏsme; et aussi les spirituels et les docteurs, en tant qu'ils sauvegardaient l'Ecriture de Dieu et en témoignant.

وتعنى ترجمته :

نحن الذين نزلنا (من النزول وليس من التنزيل) التوراة ، حيث يوجد بها إرشاد ونور ، لكى يقوم الأنبياء ، وهم يرجعون إلى الله ، للحكم وفقا لمعاييره بين أتباع اليهودية ؛ وكذلك الروحانيون والعلماء (أو الدكاترة) ، حيث إنهم حفظة كتاب الله ويشهدون بذلك .

وغنى عن التوضيح بأن « الذين أسلموا » لا تعنى : « وهم يرجعون إلى الله للحكم وفقا لمعاييره »س و « الربانيون » ليسوا « الروحانيون » و « العلماء »

أو « الدكاتـرة » ليسـوا « الأحبار » وتعنى بالفرنسية rabbin .

٤٨ - « وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدّقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ... » :

Enfin nous avons fait descendre sur toi l'Ecrit, dans le vrai, pour avérer ce qui était en cours des Ecritures, on l'englobant .

ويقول فى ترجمته:

وأخيرا نزلنا عليك الكتاب (أو المكتوب)، فى الحق، لكى توضح ما كان ساريا (أو موجودا) فى الكتب بضمها (أو بالاشتمال عليها).

وقد استبعد بيرك تماما المعنى الواضح بالآية من أن الله قد أنزل القرآن بالحق ومصدقا لما تقدمه من كتاب « بين يديه » أى بين يدى السيد المسيح (وهو ما يتفق والآية ٦ من سورة الصف) ، و « مهيمنا عليه » أى مراقبا عليه حتى لا يحرفه المحرفون فاحكم الخ .. أى أنه استبعد أن القرآن قد نزّله الله عز وجل مصدقا لما أنزله من قبل ومهيمنا عليه ، أى مؤتمنا عليه أو حاكما عليه وشاهدا عليه ..

- « لكل جعلنا منكم شرْعةً ومنهاجاً » ... :

A chacun de vous, nous avons ouvert un accès, une avenue .

وهنا ترجمها قائلا : « لكل واحد منكم فتحنا منفذا ، وطريقا » كطريق المعادى مثلا بمعنى شارع وعليه الأشجار على الجانبين) وذلك لأنه كتبها فى المفرد أما فى الجمع مثال : les avenues du pouvoirs فتعنى الطرق الموصلة إلى السلطة .. وهو غسسير المقصود فى الآية وهو سنة وسبيل ..

- « ولكن ليبلوكم فى ما آتاكم .. »:

mais il voulait vous éprouver en ses dons.

وتعنى عبارته :

ولكنه كان يريد أن يختبركم فيما منحكم [أو وهبكم] من الهبة

والعطايا ولا تعنى « الشرع » أو « من الكتاب » .

وبخلاف ركاكة الترجمة بصفة عامة فهو يضع هامشا لكلمة « مهيمنا عليه » التى ترجمها بعبارة englobant يقول فيه : « إننا نحاول بذلك أن نعبر عن واحدة من الأفكار التى يثيرها تعبير (مهيمن) ، ووفقا لاقتراح آخر فإن الكلمة مشتقة من المصدر (أ م ن) ويثير معنى الطمأنة . ثم انتقلت الكلمة بعد ذلك إلى اللغة العربية الحديثة بمعنى (السيطرة ، المراقبة) » .

أى أنه يعلم أن فى عبارة « مهيمنا عليه » تعنى السيطرة عليه (أى على الإنجيل) لكن التحريف يقتضى منه التحذلق الذى يكشفه أحيانا ، أو يكشف عن نواياه .

٥٥ – « ... الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون .. »

ce sont aux qui effectuent la prière, acquitent la purification dans la prosternation .

وتعنى ترجمته :

إنهم هم الذين يقيمون الصلاة ، ويؤدون التطهر بينما هم راكعون !!

وبخلاف إصراره على التحريف فى ترجمة كلمة « الزكاة » إلى تطهر » كما رأينا من قبل ، وبدلا من أن يعبر عن الأفكار الثلاث الواضحة فى هذا الجزء من الآية – وهى إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، ودوام الركوع لله – ترجمها حتى بالتحريف إلى أنهم يتطهرون وهم ركوع ..

٥٦ – «ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون » :

qui prend pour protecteur Dieu et son Envoyé et ceux qui croient, eh bien ! C'est le parti de Dieu qui sera vainqueur .

وهنا قد ترجم « حزب الله » لا بمعنى : قوم الله : وإنما بمعنى حزب سياسى ، كحزب الوفد وغيره ؛ إذ قال : من يتخذ الله ورسوله والمؤمنين كحام له ، إذن ، فإن حزب الله هو الذى سينتصر .

٦٤ - « وقالت اليهود يد الله مغلولة » :

les juifs disent : " la main de Dieu est verrouillée .

وقد ترجمها بأن يد الله « مغلقة بمزلاج » !

فى حين أن الغل يعنى القيد ، وهو هنا كناية عن البخل .

٦٨ - « قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أُنزل إليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أُنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا .. » :

Dis : "gens du livre, vous êtes complètement en l'air, tant que vous n'appliquez pas la torah et l'Evangile et la révélation sur vous descendue de votre Seigneur " Il est vrai que celle descendue sur toi du Tien ne fait que grandir beaucoup d'entre eux en impudene et dénégation ! .

وأول ما يلفت النظر فى ترجمة هذه الآية هو استخدام السيد بيرك لكلمة « التنزيل » عقب كلمتى التوراة والإنجيل ، فى الوقت الذى تحاشى استخدامها مع القرآن مستعينا بكلمة « نزول » . أما ترجمته لعبارة « لستم على شيء » فقد رأى أن يختار لها عبارة : « أنتم فى الهواء تماما » مستشهدا بالدبوسى فى الهامش المبرر لها .

٧٠ - « وأرسلنا إليهم رسلا » :

Nous leur envoyâmes des envoyés (p 132) .

نعتقد أن المقصود بالرسل هم الأنبياء ، إلا أنه ترجمها بمعنى المراسيل ،خاصة وأنه لم يضع بداية الكلمة بالحرف الكبير : Envoyés .

٧١-« .. ثم تاب الله عليهم » :

Malgré cela Dieu se repentit en leur faveur

وتعنى ترجمته :

ومع ذلك فلقد قام الله بالتوبة لصالحهم .

وبخلاف تكرار تأليفه أو زجه بكثير من العبارات غير الواردة فى النص القرآنى من قبيل « فورا » و « مع ذلك » الخ - فإن إصراره على إضفاء صفة الأنسنة على الله عزوجل ، وإصراره على أن الله هو الذى يقوم بالتوبة ، وكأنه يقدم على شىء ثم يندم عليه ويتوب عنه ، فهو أمر غير مقبول ومرفوض تماما رغم أية مبررات متحذلقة يدسها فى حواشيه .

١٠١ - « ياأيها الذين آمنوا لا تسئلوا عن أشياء إن تُبد لكم تسؤكم وإن تسئلوا عنها حين يُنزّل القرآن تُبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم » :

Vous qui croyez, gardez vous d'interroger sur des choses qui, à vous découvertes, vous feraient mal, et qui, si vous interrogiez sur elle en cours de descente du Coran, pourraient vous êtres rendue, patentes, alors que Dieu les effaçait .

وبخلاف ركاكة الأسلوب البشعة ، فإن ترجمته تعنى :

يـا أيها المؤمنون ، تحـاشوا أن تسألوا عن أشياء إذا كُشفت لكم ، ستؤلمكم ، والتى إن سألتم عليه أثناء نزول القرآن ، يمكن أن يتم توضيحها لكم ، فى الوقت الذى يمحوها فيه الله .

١١٠- « وإذ قـال اللـه يـا عيسى ... » إلـخ آخـر الآية :

لقد نسى خمس كلمات هى : **« فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذنى »** لم يترجمها، ولا شك فى ان السيد بيرك قد اغفل ترجمة هذا الجزء من الآية لأنه وارد فى الانجيل ومعروف تاريخيا ، وان نقل هذه الواقعة الى النص الفرنسى يدل على ان القرآن يشير الى حقائق ثابتة .. وهو ما حاول جاك بيرك التضليل عليه بحذف هذه الكلمات الخمس مثلما تعمد حذف آيات او كلمات اخرى لها دلالتها وذلك بخـلاف تغيير ترتيب عبارة « نعمتى عليك وعلى والدتـك »

ترجمهـا : نعمتى على والدتك وعليك ».

Mon bienfait sur ta mère et sur toi .

١١١ - « وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون » :

et que j'inspirai aux apôtres : "Croyez en moi et à mon Envoyé" et ils dirent : "Nous croyons . Témoigne que nous sommes de ceux - qui - se - soumettent" .

وتعنى ترجمته :

وكنت أوحى للحواريين : « آمنوا بى وبرسولى » فقالوا : إننا نؤمن . إشهد بأننا من الذين يرضخون (أويخضعون) وترجمة كلمة « مسلمون » بعبارة « يرضخون » او « يخضعون » غير سليمة ، الا انها من الكلمات التى فرضها المستشرقون بغية تحريف معنى كلمة الاسلام : اذ وضعوا المقابل لها soumission ، بمعنى الخضوع ذلاً ومهانةً ، فى حين ان المعنى الدقيق لكلمة اسلام هو ان يسلم الانسان أمره الى الله بكل ثقة واطمئنان . فتكون الترجمة السليمة لها هى : "se remettre à Dieu"

١١٧ - « فلما توفيتنى » :

ترجمها: كما فى المرة السابقة «فلما استعدتنى» مستبعدا بذلك معنى الوفاة.

١١٨ - « إن تعذبهم فإنهم عبادك»

ترجمها « فهم عبيدك »

Tes esclaves:

١٢٠ - « لله ملك السماوات »

ترجمها « لله مَلَكّية السماوات »:

la royauté :

****

ولو اتبعنا ترجمته لبعض العبارات القرآنية التى لا يمكن لإنسان أن يخطئ فهمها أو معناها لوجدناه يقترف نفس الأخطاء التى تكشف عن سوء النية أو الاستهزاء ومنهـا تعبير : « النبى الأمىّ » الـذى يرد فـى سورة الأعراف الآيـة ١٥٧ :

« الذين يتبعون الرسول النبى الأمىّ »

ترجمها إلى :

en faveur de ceux qui suivent l'Envoyé, le Prophète maternel

(p1٤1)

وتعنى ترجمته :

لصالح الذين يتبعون الرسول النبى الأمومى (من الأمومة) !!

وبغض النظر عن تغيير بداية الآية ، فإن ترجمته لكلمة « أمىّ »، وتعنى فـى كافـة القواميس والتفاسير : « الشخص الـذى لا يعـرف القراءة والكتابـة » بكلمة « الأمومى » من الأمومة أو على صلة بالأمومة ، فيفوق أى تعليق ..

فهو اختيار يرتبط بلا شك بتلك الفكرة الغربية التى حاولوا فرضها للتشكيك فى أخلاقيات الرسول (ﷺ) ، وفى « إدعائه عدم معرفة القراءة والكتابة » ، لذلك اتهموه بالاحتيال ضمن ما اتهموه به تجريحا ، ومنها مسرحية الأديب الفرنسى ڤولتير : « محمد أو المحتال » ! وهو ما يتمشى مع إنكارهم النبوة وتنزيل القرآن !.

ولا أدل على سوء نية السيد بيرك من مواكبته لنفس هذه الفكرة وإصراره عليها حتى وإن كان بصورة أكثر التواءً ؛ إذ عاد يكرر نفس التعبير فى ترجمته الآية التالية من نفس السورة .

ثم يبادر كعادته كلما اقترف جرما فى حق القرآن ، بوضع هامش طويل يقول فيه مبررا فعلته :

« أميّ : لقد أفاضت كتب التفسير والاستشراق فى تفسير هذه الكلمة التى ليس لها بالضرورة معنى واحد فى القرآن ، وعندما نطبقها على النبى ، هل يتعيّن علينا أن نضعها وفقا لعلم الاشتقاق – وأصل الكلمة – مع أصالة الأمومة أو مع الأمة (وإن كان الجمع يمثل صعوبة فى الشكل النعتى) ، أو مع الاتجاه والهدف (أم) الخ ؟ ..

« إن قاموس القرآن فى مجمع القاهرة يختار مثله مثل لسان العرب والعديد من المعلقين ، دون أن نغفل نفس حديث البخارى (رقم ٩٦٨) عبارة : « من لا يعرف القراءة والكتابة » .

« وبعض المحدثين – ومنهم صديقنا الراحل رچيس بلاشير – يرون أنها تعنى : « نبى الوثنيين » ، لكننا نؤثر التنويعة التى ترتبط بما تثيره المفاهيم القرآنية مثال الفطرة ، الإخلاص ، الحنيف ، أى : التى ترتبط بمفاهيم تلقائية لم يحرّفها التغيير ، مما نجم عنه الترجمة التى جرؤنا عليها ، والتى أقل عنوان لها (أو أبسط صفاتها) ، فى نظرنا ، ليس التأكيد على علاقة المرأة كما فى الكلمات المشتقة من ر ح م . إن محمدا كان يتيم الأب ، والقرآن يصر على هذه الصفة (راجع سورة الضحى : ٦) » (صفحة ١٨١) » .

أى أن سيادته قد خرج على كل التفاسير والمفسرين والأعراف كافة ليضفى صفة التأنيث على سيدنا محمد ، إستناداً إلى إصرار القرآن !! كما أن اختياره هذا قد تم بناءً على أصالة الكلمة ، « فالتغيير » قد حرّف معنى الكلمة من« أمومة » إلى « الجهل بالقراءة والكتابة » ، فقام سيادته مشكورا بإعادتها إلى أصلها !! .

ولم يكتف بهذه المغالطة السافرة فى نص القرآن، بل راح يؤكدها فى دراسته التحليلية حيث يقول: « لقد رأينا فى مديح وصف به النبى وكيف أ كان يحترم العلاقات الشهوانية والعاطفية : إنك لتصل الرحم» صفحة ٧٦٠ .

وبغض النظر عن استشهاده بالطبرى مصداقا لفرياته ، فمن الواضح تضامنه مع تلك النغمة النشاز التى ينشزها الغرب على سيد المرسلين ، من أنه كان شهوانيا غارقا فى الملذات .. وهو ما يكشف عن موقف بيرك غير الأمين من النص القرآنى ،كما أن استشهاده بعبارة : « إنك لتصل الرحم » للتدليل على « شهوانية » الرسول لأكبر دليل على عدم فهمه للغة العربية ، مثله مثل بقية المستشرقين مدّعى الأمانة . وكذلك رأى سيادته أن تعبير « الرحمن الرحيم » مشتقة من « رحم المرأة » أى : عن « طريق التضامن مع النساء » ، ومن المعنى الأعم وهو « الأسرى » !!

* البقرة ٧٨ – « **ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانىّ ..** » :

Il s'en trouve parmi eux d'incultes, qui ne connaissent l'Ecrit qu'à travers leurs appétences .

وقد ترجمها إلى ما معناه :

يوجد بينهم جهلاء (أو غير مثقفين) ، لا يعرفون الكتاب إلا من خلال نزعاتهم الغريزية .

وبغض الطرف عن أية ترجمة ، فلا نشير هنا إلا إلى إصراره على تغيير معنى كلمة « أميون » ليثبت أن لها أكثر من معنى ، وبالتالى يبرر ما قام به من تحريف فى الآيتين السابقتين .

* آل عمران ٢٠ – « ... **وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم** » :

Et dis à ceux qui ont reçu l'Ecriture et aux gentils ...

وتعنى ترجمته:

وبخلاف عدم ثباته على مصطلح واحد ؛ إذ مرة يترجم الكتاب بكلمة Ecrit ومرة أخرى بكلمة Ecriture ، وتعنى الكتابة ، مما يبلبل ذهن القارئ ، فلا نشير هنا إلا لترجمته كلمة « الأميين » بكلمة "gentils" ، وهى كلمة عبرية الأصل وتعنى وثنيين ، وأن كانت بالنسبة لليهود القدامى

تعنى « غريب » وبالنسبة للمسيحيين تعنى « وثنى » ومعناها الشائع هو : « غير المؤمن دون اليهود والمسيحيين » .

ومن الواضح أن المقصود بكلمة « الأميين » فى هذه الآية ، وفى سياق هذه السورة يعنى أهل الكتاب من يهود ومسيحيين والعرب الأميين وليسوا الوثنيين فحسب ، أى أن السيد بيرك يستبعد ببساطة اليهود والمسيحيين من مضمون هذه الآية وغيره .

* آل عمران ٧٥ – « **... ليس علينا فى الأميين سبيل** » :

il n'y a pour les gentils contre nous nul recours .

وهنا أيضا ترجم كلمة « الأميين » بكلمة « الوثنيين » أو « الغرباء » .

* الجمعة ٢– « **هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته** » :

lui qui a envoyé au sein des incultes un Envoyé des leurs pour leur réciter Ses signes .

أما فى هذه الآية فقد ترجم « الأميين » بالجهلاء (أو غير المثقفين) ، ثم يبادر بوضع هامش يقول فيه :

« إننا نختار هذه المره كلمة « غير مثقفين » لترجمة « أميين » التى تشير هنا ، فيما يبدو ، إلى العرب (راجع حمزة بو بكر ، وهامشه). و« منهم » يمكنها تأكيد الترجمة التقليدية لكلمة « أمى » عندما تنطبق على النبى . وكذلك يمكننا أن نفهم أيضا : (الذين لم يحصلوا بعد على التنزيل) بما أن (منهم) تشير إلى الأصل ، وهذه الترجمة الأخيرة تتفق والنزعة العالمية التى تبدو فى الآية ٣ » (صفحة ٣١٢) .

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أنه يعلم كلمة « التنزيل » بالفرنسية وكتبها فى سياق هامشه ، وهى : révélation . لكن حينما تتعلق الترجمة بنص القرآن المنزّل ، فهو يستخدم كلمة « نزول » بمعنى نزول السلالم مثلا ! ولا

تعليق على تردده أو تشكيكه فى أن كلمة « أميين » هنا تشير إلى العرب « فيما يبدو » على حد زعمه ، ودرئه ما اقترفه من جرم فى ترجمة تعبير « النبى الأمى » الذى لا لبس فى معناه ، وهو ما تثبته أيضا هذه الآية فيبادر بقول إنها ترجمة تقليدية فى حين أن إضفاء الأنوثة على النبى وجعله « النبى الأمومى » هى الترجمة الجديدة المبتكرة !!

****

** صبغة الله **

وها هو نموذج آخر يوضح أسلوب تعامله مع النص القرآنى ومدى فهمه له أو للغة العربية .

* ﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون﴾

(البقرة ١٣٨)

une teinture de Dieu ! mais qui peut mieux teindre que Dieu , quand nous l'adorons ?

وتعنى ترجمته :

التى حوّل فيها معنى « صبغة الله » وتعنى « فطرة الله التى فطر عليها الناس » إلى عبارة « صبغة » من الصباغة وتغيير اللون ، وبذلك رأى سيادته أنه لا يوجد من يجيد الصباغة خير من الله ، إذ كتب يقول : « صباغة من الله ! لكن من ذا الذى يمكنه أى يصبغ أفضل من الله ، عندما نعبده ؟ » !!؟!!

ثم يسارع بوضع هامش يكشف عن سوء فهمه للنص القرآنى ، وبالتالى يكشف عن سوء نيته أو نزعته الانتقامية نتيجة لجهله ، إذ كتب يقول : « لا شك أنها إشارة ساخرة إلى التعميد المسيحى إلا أن الإيحاء القوى لكلمة (صبغة) يتعدى معناها بكثير ، ومع ذلك ، فالأفضل - فى نظرنا - أن نترك للتشبيه كل قوته » (صفحة ٤٤) .

* ﴿ وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين ﴾

(المؤمنون٢٠)

et un arbre issu du mont Sinaï : on récolte l'onguent et un (fameux) condiment pour les mangeurs .

وتعنى : تنبت بالدهان (أو المرهم) وبهار (شهية) للآكلين .

ثم وضع هامشا يقول فيه : « بهار (شهية) : إننا نحاول بذلك أن نعبر عن الصيغة التفخيمية التى تكمن فى عدم تحديد هذه الكلمة ، فى حين أن الكلمة السابقة كانت محددة » (صفحة ٣٦٢) .

الأمر الذى يحاول معه تأكيد ما أورده من معنى الصباغة الذى أضفاه على الآية السابقة . اللهم لا تعليق ..

******

** الأرحام **

ونفس المتابعة نجريها مع كلمة « الأرحام »

* النساء ١ : « **واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام** » :

prémunissez- vous envers Dieu, de qui vous vous réclamez dans votre sollicitation, et aussi envers les matrices (p 94) .

وتعنى ترجمته :

اتخذوا الحيطة تجاه الله ، الذى تستندون إليه فى توسلكم ، وأيضا تجاه « رحم المرأة » (وقد وضعها فى صيغة الجمع وكتبناها بالمفرد ليدرك القارئ معناها) .

ولا يمكن إغفال سوء ترجمته لكلمة « اتقوا » التى ترجمها طيلة الوقت بما معناه : « اتخذوا الحيطة » أو : « احـذروا » ، وليس بمعنى خشية ، وهى craindre .

أما تحريفه لمعنى كلمة « الأرحام » هنا وتعنى : « صلة القرابة » إلى كلمة matrice وتعنى « رحم المرأة » فتتمشى مع ما حاول أن يضفيه من معان مغرضة فـى تقديمه لسورة النساء فـى الهامش الذى خص به هذه الآية :

.. إن اللهجة الجدالية ترمى من الآن فصاعدا إلى العدو الداخلى : المنافقين واليهود . إن الاهتمام بالمعركة يظل حيوياً إلا أن هذه المكونات يتم التعبير عنها تحت العلامة الظاهرة للمرأة ، مما نجم عنه العنوان . والخطاب متعدد الموضوعات ويمكن على الأقل تجميعه فى مقاطع ذات موضوعات رئيسية : موضوع المرأة (آية ١-٤٣ و ١٢٧-١٣٠ ، التى لها تكملة فى الآية ١٧٦) ، موضوع المنافقين (آية ٤٤ - ٧٠) ؛ المنافقون والمعركة (آية ٧١ - ١٠٤) ؛ أهل الكتاب ويسوع (آية ١٥٣ - ١٧٥) . ويلاحظ تكرار نهايات الآيـات التى تشيد بصفات الله فـى علاقـة مرهفـة بالجملة السابقة

(ويقصد بها موضوع المرأة) ، أن النبى كان يتيما . وهناك علاقة مزدوجة تضفى على هذا النص بصفة خاصة والثرى بإيحاءات الأنوثة، سواء أكان من القهر الواقع أو الذى يجب خشيته، أم من (ابن مريم) »

أما الهامش الذى وضعه للآية الأولى فيقول مبررا اختياره لتعبير « رحم المرأة » : إنها إشارة ممكنة للعبارة الشعبية القائلة : « ناشدتك الله والرحم » وتعنى : أناشدك باسم الله والقرابات الأمومية » ، وتعنى حرفيا : « الرحم » (matrice) لقد تمت قراءة « أرحام » وفقا لثلاث تصريفات (القرآن ، وحمزه ، وفلاسفة البصرة وزيد) ، يقول : إن ترجمتنا التى تحافظ على عنف الصورة « الرحمية » (matricielle) ، تصوب أيضا غموض الجملة : وهو غموض شكلى على أى حال ، لأن المعنى لا جدال فيه : فقد أعيدت (الأنوثة الخالدة) إلى كرامتها » ! (صفحة ٩٤) .

الأنعام ١٤٣ - ١٤٤ : « ... أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين » :

Ou tout contenu de la matrice des deux femelles

وترجمها إلى ما معناه :« أو أى محتوى لرحم الأنثيين » . وهو أبعد ما يكون عن مضمون الآية فى ذلك الجزء من السورة الذى يتحدث عن خطأ تقسيم العرب قديما للأنعام ، وأن الله لم يحرّم شيئا سن ذلك ، ويعنى هذا الجزء من الآية : « هل يشتمل الرحم إلا على ذكر أو أنثى ؟ فلم تحرّمون بعضا وتحلون بعضا » ؟ (ابن كثير).

وهو نموذج من مئات النماذج التى تدل على عدم فهمه للغة العربية أو إحساسه بها .

*** الأنفال ٧٥- « وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله » :**

quand aux parents par les femmes, ils ont priorité les un sur les autres selon le livre de Dieu .

وتعنى ترجمته :

أما فيما يتعلق بالأقارب عن طريق النساء ، فلهم أولوية بعضهم على بعض وفقا لكتاب الله .

وبخلاف سوء الترجمة الواضح فإن قوله، (القرابة عن طريق المرأة) يربط العقيدة الإسلامية بالعقيدة اليهودية ، فهى وحدها التى كانت وما زالت لا تحسب القرابة إلا عن طريق الأم ، ثم يستند إلى كتاب الله لإثبات هذه الفرية . ونظرا لحاجته إلى هذا الإثبات فقد ترجم تعبير « كتاب الله » ترجمة صحيحة إذ قال:

"Livre de Dieu" ولم يقل 'Ecrit" أو "Ecriture" كما يترجمها عادة !!

الرعد ٨ - « **الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار** »

Dieu connait ce que porte toute femelle, et la contraction comme la dilatation des matrices : toute chose trouve en lui sa mesure .

وتعنى ترجمته :

إن الله يعلم ما تحمله كل أنثى ، وتقلص الأرحام وتمددها : إن كل شيء يجد فيه (الله] مقياسه .

وهو نموذج من النماذج التى لا حصر لها للترجمة الحرفية ،خاصة فيما يشوه معنى صورة الله عز وجل ، ومنها « أنه يتوب »كما رأينا فى مكان آخر !!

* الأحزاب ٦ - « **النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين** » :

le prophète est plus proche des croyants qu'eux mêmes; ses épouses sont leurs mères les parents naturels ont priorité réciproque ,

d'aprés le livre de Dieu, sur les croyants avec ceux de l'exode .

وتعنى ترجمته :

إن النبى أقرب إلى المؤمنين من أنفسهم ؛ وزوجاته هن أمهاتهم . إن الأقارب الطبيعيين لهم أولوية متبادلة ، وفقا لكتاب الله ، على المؤمنين وعلى مؤمنى الخروج .

وبصرف النظر عن الترجمة وكل ما تتضمنه من أخطاء وتحريف إلا أن اختياره لكلمة "exode" للتعبير عن « المهاجرين » فهى تنقل القارئ إلى اليهود إذ إنهـا ارتبطت بخروجهم من مصر . وصياغته avec ceux de l'exode (وعلى مؤمنى الخروج) يؤكد هذا القصد ، وكان لزاما عليه أن يستخدم كلمة : "émigrés' وتعنى « المهاجرون ». ومما يثبت بالقطع أن السيد بيرك يفهم معنى كلمة « أرحام » باختلاف تنويعاتها وفقا لموقعهافى سياق النص ترجمته الآية ٢٢ من سورة « محمد » : « **فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم** » :

alors faut-il s'attendre à ce que , par votre dérobade, vous fassiez dégat sur la terre , mettiez en piéces vos liens de parenté ?

وتعنى ترجمته :

إذن هل يجب أن نتوقع بهروبكم أن تتسببوا فى خسائر على الأرض ، وأن تمزقوا صلات القرابة ؟

وهنا لا يسعنا إلا أن نتساءل : ترى ! لماذا لم يترجم السيد بيرك هذه العبارة ترجمته الحرفية الشهيرة ، كلما تعمد الإساءة إلى النص القرآنى ؟ ألم يكن من الأصوب .. وفقا لمنطقه المريض أن يكتب قائلا :

que vous mettiez en pièces vos matrices

لكن الله عز وجل أراد أن يكشفه بعمله ويكشف أنه يعلم الصواب لكنه يتعمد الخطأ .

******

عدم فهم أم تحريف؟!

* « فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه »

(البقرة ٢١٣):

mais Dieu avait guidé les croyants à diverger , avec son autorisation , sur tels points de la vérité..

وتعنى ترجمته :

« إن الله قد أرشد المؤمنين إلى الاختلاف ، بموافقتـه (أو بإذنه) ، حول تلك النقاط من الحقيقة »

الأمر الذى يقلب معنى الآية من أن الله قد هدى الذين « اختلفوا فيه من الحق » إلى أنهم قد اختلفوا فيه بأمر من الله !!

ثم يضع هامشاً يقول فيه :

« إن (اختلفوا) الثانية تبدو فى نظرنا أنها فاعل للمؤمنين ، وتبرر وجود مساحة من الاختلافات المذهبية ، إن التفسير التقليدى يخفى تماما هذا المعنى » (صفحة ٥٥) .

تحريف المعنى ثم الخروج عن هذا التحريف بأدلة لإثبات الباطل .

هل هذه هى أمانة السيد بيرك ؟!

****

* « إذ قال الله ياعيسى إنى متوفيك ورافعك إلىّ ومطهرك .. »

(آل عمران ٥٥) :

Lors Dieu dit : Jésus , voici que je te recouvre , t'éléve vers mois , te purifie

لقد ترجم « متوفيك » بكلمة :« مستردك » (من الاسترداد) .

ثم يقول فى الهامش :

«إن التفسير الإسلامى يفهم هذا الـ « متوفيك » على أنه لا يتضمن الوفاة ، وانما نوع من التحاشى جانبا : اختطاف أو نوم . ومن الملاحظ أن هناك تفسيراً مبتكراً للزمخشرى يقول فيه : « إننى أحميك من أعدائك وأمهلك الفترة التى قررتها لك ، وسوف تموت عندئذ لا بجريمة أيديهم ، وإنما تلقائيا » (صفحة ٧٦) .

وما أكثر النماذج التى يتضح فيها عدم التزامه بأمانة العبارة ودقتها ، وإنما اختيار الكلمات وفقا لما فى نفسه من أغراض .

****

الشعائر

* « إن الصفا والمروة من شعائر الله »

(البقرة ١٥٨)

Çafa et Marwa font partie des repérages de Dieu .

وتعنى ترجمته :

إن الصفا والمـروة تمثل جـزءاً مـن العلامات التـى يضعها الله .

ذلك أن كلمة repérages التى اختارها تعنى : « وضع علامات » .

ثم يقول فى الهامش:« repérages (شعائر) : وكان يمكن أن نقول أيضاً « signalisations » (وتعنى وضع إشارات) . إن الرازى يربط بين فعل (أشعر) وتعبير (إشعار السنن) أى : وضع علامة بالسكين على صنم البهيمة المضحاة (صفحة ٤٦) »

لا يمكن إغفال أن كلمة « شعائر » مرتبطة بالمناسك الدينية الإسلامية ، وهناك ما يقابلها بالفرنسية وهى rites ، ولم يكن بحاجة إلى الأستشهاد بالرازى لمداراة مغالطاته أو استهزائه بالإسلام والمسلمين .

ألم يكن من الأجدر به أن يشرح معنى كلمتى : (الصفا والمروة) للقارئ الأجنبى الذى يوجه إليه فرياته ؟ إلا أن شرحهما كان سيضطره إلى التحدث عن سيدنا إسماعيل وأمه هاجر ، وبالتالى التحدث عن سيدنا إبراهيم ، لكن ذلك هو ما يحاول الغرب طمس معالمه ، ويأتى موقف السيد بيرك هنا أيضا مواكبا لحملة التضليل الممتدة ، والتى تصر على استبعاد إسماعيل وعدم الاعتراف به الابن البكر الذى تم العهد فى زمنه ، وكان فى الثالثة عشر من عمره ، أى قبـل أن يـولد إسحـاق بعـام (سفـر التكويـن ، الإصحاح السابـع عشر) !

وتتميز هوامش چاك بيرك بنفس التحايل ، سواء لتبرير ما يقترفه من

مغالطات ، أم للتخفى خلف التفاسير أو حتى خلف ما يدركه من حقائق .
وفيما يلى بعض الهوامش نوردها تباعا ، بالإضافة الى ما طالعناه فيما تقدم :

* يقول فى الهامش الخاص بالآية ٢٣ من سورة « يوسف » :

« الآيات من ٢٣ إلى ٣٤ حوالى عشر آيات تتضمن منظراً مزدوجا جنسي اللهجة . ترى! هل المنظر الثانى يهيئ من التلميحات التى تضفيها الآية الثانية على عصمة يوسف؟ إن الطبرى فى المجلد ٢ صفحة ١٠٨ فى آخر الصفحة يفرد مكانة واسعة لهذه الإيحاءات، وقد جمع العديد من الغرائب التراثية التى يبدو أنها ترضخ عن عدم اقتناع لمثـل هذه العفـة! » (ص ٢٤٧).

* ويقول فى الهامش الخاص بالآية ٣١ من نفس السورة ، بعد أن ترجـم « متكأ » بكلمة « وليمة » ، ولا داع للتعليق على الفرق بين العبارتين .. كتب فى الهامش قائلا : «ان الترجمة هنا مسهبة ، فالكلمة والمنظر يثيران دهشتنا الى حد ما . والأمر يتعلق بالنسبة للضيوف فى أن يأكلوا وهم متكئون على الوسائد والسجاد ، وهى إشارة إلى حفلة السكر والعربدة (orgie) التى نتخيلها لكنها لا تحدث . أما : « أكبرنه » ، فيقول أحد المفسرين الذى يذكره الطبرى (نفس المجلد) صفحة ١٢١ السطر ١٨ وما بعده قد فسرها بأنهن « قد رحضْن » (ص ٢٤٨) !

ولن نعلق على ما فى هذا الهامش من انحطاط ، ونكتفى بالإشارة إلى المعنى الحديث لكلمة orgie ، إلى جانب السكر والعربدة ، فهى تشير إلى حفلات العلاقات الجنسية الجماعية ، فهل يليق أو حتى يعقل أن يخرج القارئ بمثل هذه الإيحاءات مـن قراءة ترجمة معانـى القرآن بقلـم السيد بيرك ؟!

* ويقول فى الهامش الخاص بالآية ٦١ من سورة « الكهف » : « ان المفسرين لم يدركوا أن هـذه « الوصلة » غـير محددة الموقـع . إننا نترجـم « سرَباً » بكلمة « الانزلاق » لكى نعبّر بالإيحاء عن هذه الكلمة التى قد أحارت المفسرين . فهناك عشرة تفاسير في الطبرى ، منها تفسير يستند إلي أحد الأحاديث ، ويرى أن معناها : عبارة عن نفق ينفتح فى الأرض وتدخل

فيه السمكة (ويحدد لنا المؤلف أنها كانت مشوية !) » (ص ٣١٤).

* ويقول في الهامش الخاص بالآية ٧ من نفس السورة : « من الآيات ٧١ إلى ٧٩ : إنها رحلة ذات محن ، حيث « المعنى الخفى » الخاضع للتأويل لا يتضح إلا فى النهاية . لكننا نقول : لا ليس بدون إبراز قدر من العبث . ولا شك أن الفقه يرى فى القصة درسا فى الأخلاق ، يرمى إلى الآداب فى العلاقات بين الشيخ والمريد ، انها قمة الخارجانية (أو التخارج ، أى علم إخراج الصورة التى بالداخل) ! إننا نفضل أن نرى هنا بزوغ لمحة عبث على طريقة كيركجارد » !!(ص ٣١٥) . ولا تعليق ..

* ويقول فى هامش الآية ٨٣ من نفس سورة الكهف : « ما يجب أن نذكره » تعنى المعنى الأخروى . وهناك موقف آخر متحفظ تجاه الأساطير . إن التفسير سواء بالنسبة لهذا الـ « ذى القرنين » (الذى له قرنان) ، سواء بالنسبة لموسى (الذى يحاول تراث منعزل أن يجعل منه شخصيه أخرى غير التى فى سفر التكوين) ، يمزج بالتشابه الأسطورى المتناقض ، مبتعداً كثيراً عن سبب النصوص » (ص ٣١٦) .

ولا نقول شيئا عن معنى ترجمته للفظة « ذى القرنين » التى ترجمها Bi - Cornu أى المقرّن !!

وليست هذه النماذج العابرة إلا أمثلة تؤكد غياب النزاهة العلمية عند جاك بيرك ، تلك النزاهة التى راح يتهم الآخرين بغيابها لديهم ، مثلما قال عن حمزة بو بكر وترجمته لمعانى القرآن ..

وإذا ما طبقنا علوم البلاغة الجديدة – من تحليل منطقى وسيموطيقا سيمانطيقا وما إلى آخره مما تلفع به ، على نفس الأسلوب الذى صاغ به مقدمته – لخرجنا من أول الى آخر كلمة بما لا يشرفه من مغالطات واستخفاف ، ولا نذكر منها على سبيل المثال إلا ما يلى :

ففى أول جملة تناول فيها نقطة تجميع القرآن يقول :

« A en croire les sources traditionnelles

ومعناها : « على حد زعم المصادر التقليدية فإن .. » أى : أن التشكيك المبيّت لديه يتجلى من أول كلمة كتبها ، وكان بمقدوره أن يكتب تعبير selon les sources أو d'aprés les sources ، وكلاهما يعنى « وفقا للمصـادر » ، وذلك فى حالة استخدام صيغة الحيـاد العلمـى وليس التشكيك ...

أما أسلوبه فى وصف الله فقد أوضحنا كيف أنه قال ما معناه: « إن القرآن يشير بروعة مرعبة إلى الارتعادات والذعر الذى سيصيبكم أمام الحاكم (ويقصد الله) ، وهـا هـى القشعريـرة تسرى فـى أبدانكم عـند مجـرد ذكـر اسمـه » (ص ٧٥٩) !

ويا له من تخويف يتجاوز أى تعليق .. لكنا نورده هنا لنوضح غرضه بدءا من التراث وصولا إلى الله عز وجل ، فإن هدفه هو التشكيك والتخويف لينفر القارئ .

أما إشاراته إلى المستشرق الكبير « نولديكه » – على حد زعمه ، والذى بدراسته للقرآن « قد شرّح الأسلوب والقواعد والمفردات مشيرا إلى ثقل الأسلوب هنا وإلى التكرار هناك ، وإلى عدم الصحة ، وبعدها بقليل إلى إيجاز أو حذف ، بل وإلى أخطاء » (ص ٧٣٨) ، فيكفى چاك بيرك استشهاده بمن قام بأكبر تجريح لمعانى القرآن وأسلوبه ، وتكبيره كمستشرق ، ليكون متضامناً معه فى الرأى ، حتى وإن تظاهر بالاختلاف معه .. فكلنا ندرك كيفية التهرب من تحمل مسئولية الكلمة وإلصاق الرأى الجارح باستشهادات للآخرين ..

غير أن تلاعب چاك بيرك بالألفاظ يصل إلى الذروة عندما يتحدث عن وجهة النظر التطورية (évolutionnste) ، مستشهدا بآية : « لكل أمة أجل » (٤٩/١٠) ، وكيف أن النظام يزايد (فى تطوره) بأن يقول : « لكل أجل كتاب » (٣٨/١٣) .. ثم يضيف قائلا : « بما أن الله يمحو ويبدل ويؤكد النبؤات وفقا لهواه (á son gré) ، أقصد هذا النقل المتتالـى والجـزئى للأصـل ،الذى يظل دائما أبدا فى صدره » (٣٩/١٣) . والطريف أنه

يضع رقم السورة والآية كتصديق لأسلوبه ، ثم يواصل قائلا : « هل يمكننا التمادي دفع النسبية التاريخية لدرجة قلب كلمات التضمين القرآني ونقول : (لكل كتاب أجل) » ؟ ثم يضيف باللاتينية قائلاً : « إننى لأرتجف وأنا أقولها ! ترى أى مفكر حر تجرأ على هذا اللعب الإجرامى بالألفاظ ؟ لا تبحث : إنه الخليفة أبو بكر » (ص ٧٨٧).

ثم يضع هامشا مصداقيا لتوثيق كلامه يورد فيه : الطبرى ، المجلد ١٣ ، صفحة ١١١ ، السطر ١٤ .. ويا للدقة التى يتظاهر بها !

لنضع جانبا الاستخفاف الذى تناول به مضمون الآية « يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب » (٣٩/١٣) ، ليكتبها : « إن الله يمحو ويبدل ويؤكد النبوءات وفقا لهواه » ، ثم يخفف من وقعها قائلا : « أقصد هنا النقل المتتالى والجزئى للأصل الذى يظل دائما أبدا فى صدره » .. لندع كل هذا جانبا ، ونرى تعبير « لكل كتاب أجل » بالصورة التى أوردهـا ، وهـى : « pour tout ecrit , un terme » .

ووضعه لكلمة كتاب Ecrit بالحرف الكبير تعنى: أن القرآن هو المقصود ، وأن القرآن له أجل !! وإن كان ذلك هو ما يتمناه المستشرق « النزيه » جاك بيرك ، فلماذا يلصق أمنيته الشخصية بأبى بكر ، مستشهدا بالطبرى ، وهو يعلم من ناحية أنه ما من قارئ سيقوم ليتأكد من المرجع الذى ذكره ، على الاقل من باب الثقة فى مكانته العلمية ، ومن ناحية أخرى ، أنه يعلم يقينا أن سيدنا ابا بكر لم يقلها بهذا المعنى ، ولن أقول للباحث « الأمين » جاك بيرك أن يكلف خاطره وينظر فى التفاسير ليفهم معناها المشروح ، وانما - وهو أضعف الإيمان - أن ينظر فى أبسطِ قواميس اللغـة العربية ليـرى أن كلمـة « الكتاب » تأتى أيضا بمعنى : الحُكم ، والأجل ، والقدر.

وذلك إذا ما كان فعلاً لا يعتمد على اللعب « الإجرامى » بالألفاظ .. ولا يعتمد على أن احداً لن يقرأ ويكشف مغالطاته .. أم علّ ذلك هو ما يسميه جاك بيرك « الخوف والحشمة وتقديم ترجمة جيدة وأمينة » على حد زعمه بمجلة الجهاد ؟! (يناير ١٩٩٠).

ومن كل ما تقدم - وهو جد قليل من كثير - يمكن أن نخرج بالنقاط العامة التالية:

* ما من شك فى معرفة چاك بيرك باللغة الفرنسية وقواعدها ومفرداتها الحديث منها والقديم البالى .. إلا أنه عادة ما يستخدم صياغة جد ركيكة معقدة ، بزعم الالتزام بترتيب مفردات صياغة النص القرآنى ، الأمر الذى يؤدى إلى صياغة فرنسية ركيكة ثقيلة الفهم أو لامعنى لها . وكثيرا ما يستخدم مصطلحات سقط استعمالها تماما فى الفرنسية ، مما يضفى على النص غموضا وإبهاما لا داعى ولا مبرر لهما إلا تشويه النص القرآنى ، فمن أبجدية الترجمة التصرف فى ترتيب الكلمات فى الجملة ومقاطعها لتوضيح المعنى بعبارات مفهومة.

* وما من شك فى معرفة چاك بيرك باللغة العربية وقواعدها وعلوم بيانها ، إلا أن ترجمته للعديد من الآيات تكشف عن عكس ذلك ، أو تؤكد سوء نيته ، فما من صفحة تخلو من أخطاء متفاوتة الحدة أو المستوى ، ومنها ما يمس أركان الإسلام ، مثال : ترجمته لكلمة « الزكاة » بكلمة « التطهر » (purification) ، على الرغم من شيوع ترجمتها فى الفرنسية بعبارة : « الضريبة الشرعية »، أو يكتبونها بالأحرف اللاتينية zakât ، ثم توضع عبارة لشرحها aumone légale او impôt légal .

* كثيرا ما يبيح لنفسه خلط أو تغيير صيغ المتكلم ، كأن يضع كلام الله عز وجل على لسان آخر أو آخرين (مثال: سورة « الكهف» وغيرها) . او يقوم بتغيير صيغة المتكلم الفرد إلى صيغة الجماعة أو العكس . وأى كاتب بأى لغة يدرك معنى هذا التلاعب وإمكانياته فى تحريف الكلم .

* كثيرا ما يسمح لنفسه بتغيير صيغ الأفعال من مضارع إلى مستقبل أو إلى ماض .. ولا نعتقد أنه أمر مسموح به فى مجال الترجمة بعامة ، نظرا لما ينجم عنه من تغيير للمعنى ، على الرغم من تبريره لذلك التصرف من أجل سهولة الترجمة أو سلاسة الصياغة فى هوامشه العديدة.

* إدخال الكثير من العبارات للربط بين الآيات ، وهى عبارات غير واردة

فى النص القرآنى ، ولا ضرورة لها ، إلا أنها تضفى « أنسنة » وقتية على النص لا تتفق وتنزيل القرآن ..

* كثيرا ما يختار كلمات أو عبارات بعيدة تماما عن المعنى الوارد فى الآية ، ثم يبادر بالإعلان فى الهامش عن عدم رضائه عنها أو عدم اقتناعه بها !! ومع ذلك يتركها بلا تغيير ، أو يستند لتبريرها إلى الطبرى أو الزمخشرى أو غيرهما من المفسرين .

* كثيرا ما يقول فى هوامشه إن المفسرين قد حاروا فى معنى عبارة معينة ؛ لذلك يبادر سيادته بإيجاد العبارة السليمة ، وإن كانت محرفة وغير مرضية فى نظرة .

* كثيرا ما يؤدى سوء نيته أو عدم فهمه للآية إلى اتخاذ موقف غير أمين ليقوم بترجمة انتقامية - إن أمكن القول - مثال: عدم فهمه لآية **« صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون »** (البقرة ١٣٨). فترجمها بمعنى الصباغة وتغيير اللون ، وأن الله سبحانه وتعالى خير من يقوم بالصباغة ! مبررا ذلك فى الهامش قائلا : « لا شك أنها إشارة ساخرة إلى التعميد المسيحى . إلا أن الإيحاء القوى لكلمة (صبغة) يتعدى معناها بكثير .. ، ومع ذلك فالأفضل فى نظرنا أن نترك للتشبيه كل قوته » (ص ٤٤) .

ولا داعى للقول : إنه لا توجد هناك أية صلة بين هذه الآية والسخرية ، أو حتى المساس من قريب أو بعيد بالتعميد المسيحى !

* كثيرا ما يحاول اختلاق الغرض ليدس بعبارات تلفت نظر القارئ إلى تلميحات أو إشارات إلى المسيحية غير واردة فى النص او لا تتضمن المعنى الذى يشير إليه.

* كثيرا ما يضع هوامش لغوية بحتة ، يستعرض من خلالها مدى معلوماته النظرية بقواعد اللغة العربية وعلومها المتعددة لإيهام القارئ بجديته وأمانته العلمية .

* فى بعض الأحيان يشير فى الهامش إلى الموضع المكانى للآية من السورة بعامة ، أو يحلل صياغتها وفقا لبحور الشعر ، وهو ما لا يتفق والنص القرآنى - الذى ليس شعرا - حتى وإن أضفى ذلك مسحة علمية محايدة الزعم على ما يكتب..

* لا يسع المجال هنا لتناول الأخطاء الشديدة الوضوح سواء للعبارة ذاتها ام لزعمه محاولة نقل الإيقاع اللغوى العربى إلى الفرنسية . فالمعروف أن اختيار المترجم للفظ يتم بناء على وضوح المعنى ، وليس طمسا لمضمونه أو بناء على إيقاعه ، خاصة وإن كان هذا « الإيقاع » يؤدى إلى إختيار كلمة بعيدة كل البعد عن المعنى الوارد فى الآية.

* لا يمكن للقارئ أن يغفل الاستخفاف الذى يتناول به النص القرآنى ، ان لم يكن الاستهتار ، على الرغم من كل ما حاول اضفاءه من جدية وأمانة شكلية على ترجمته.

ولا يسعنى إلا أن أضيف إلى ما تقدم من نماذج : أن أى فرد من الملايين الستة المسلمة التى تعيش فى فرنسا ولا تعرف أو لا تجيد العربية ، بينما تتعرض للضغوط المختلفة من جانب الحكومة الفرنسية ووزير داخليتها ، ومحاولة دفعهم إلى الهجرة ، أو إلى قبول الذوبان فى المجتمع الفرنسى بعاداته وعقائده .. إن أى فرد يواجه الاقتلاع من واقعه الذى لم يعد يعرف سواه ، بجانب الضغوط الأخرى وذلك بسبب إسلامه ، ويقرأ القرآن فى ترجمه چاك بيرك ، المعروف بصداقته للعرب والتى توجـ ـا بعضوية مجمع اللغة العربية ، أى المفترض أنها تكون أكثر الترجمات أمانة وقربا للنص القرآنى ، ثم يقرأ هذا الكلام وبهذه الصياغة ، وهو فى مثل هذه الظروف المصيرية لاستخف بذلك النص وابتعد عنه !

فهل ذلك هو المطلوب من قراءة ترجمة معانى القرآن ، أم أن تؤدى قراءته إلى الإيمان وتثبيته ؟

لقد اختار چاك بيرك التواطؤ مع هجمة الغرب الشرسة الظالمة ، وجاهد بكل معلوماته وقدراته للتشكيك فى القرآن وتنزيله وتدوينه ، والتشكيك فى

عقيدة التوحيد فى الإسلام ، وأن الإسلام ليس دين دنيا وآخرة ، وأنه ليس بالتصويب الذى يجبّ الديانتين التوحيديتين الأخريين وخاتما للرسالة ، بل إنه أقل عنهما ، ولا يصمد لتحديات العصر وتقنياته أو متطلباته .. لقد أختار جاك بيرك التواطؤ مع ذلك المخطط الذي أقره المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني عام ١٩٦٥ وهو « توصيل الانجيل ألي كافة البشر » .. وهي الصيغة المضخمة المعلنة آنذاك لعبارة « تنصير العالم » التي أعلنها البابا يوحنا بولس الثاني صراحة عام ١٩٨٢ والتي أصبحت تمثل المحور الرئيسى لكافة خطبه الرسولية البابوية – وهي عبارة تعنى وتواكبها عملية اقتلاع الإسلام التى يحاولها الغرب حاليا بكافة الوسائل وفى كافة المجالات .. بل أن عملية الحوار المزعوم مع الديانات غير المسيحية التي أقرها نفس ذلك المجمع لا تعني في نظر هذا البابا إلا كسب الوقت حتى تتم عملية التنصير !! ..

لقد اختار جاك بيرك الخيانة ، وجاهد ليغلفها بمفردات العلوم اللغوية الحديثة المتحذلقة ، وباع ضميره وأمانته العلمية وصداقته للعرب والمسلمين بثمن بخس ، ثم ها هو يحاول التمسك بتلابيب ما باعه درءاً لموقف مخزٍ أو ذرا للرماد فى الأعين ، بالاحتجاج الملتوى حينا ، وبزج من يدافعون عنه جهلاً أو عن عمد ، فلعلهم لا يتصورون أن من فى مثل مكانته العملاقة يمكنه أن يهوى ..

فلا يجب أن نغفر له طعنته هذه بزعم مواقفه الإعلامية وأحاديثه السيارة أو خضوعا لأية ضغوط ...

إن المرحلة المصيرية التى يعيشها الإسلام والمسلمون حاليا تحتم علينا جميعا ، من الآن فصاعدا ، أن نتضافر للدفاع عن القرآن ونصه المنزّل ، ضد الهجمة الضارية التى يكيلها الغرب للإسلام حاليا على الصعيد العالمى .. فإصراره هو وغيره من المتواطئين على فرض الحداثة والعصرية لدراسة القرآن وإعادة صياغته ، ومطالبتهم بفصل شئون الدين عن الدنيا لا يتنافى مع العقيدة الاسلامية فحسب ، وانما يخالف حتى ما قامت به الكنيسة الكاثوليكية لضرب الحداثة – وهو العلم الذى وجد أساساً لدراسة النصوص الإنجيلية وتطبيق العلوم التاريخية والنقدية عليها ، لعدم توافق معطياتها والاكتشافات

العلمية . فكيف يفرضون على نص لبقرآن المنزّل ما رفضوا تطبيقه على نصوص ثبت نسخها تحريفها على مر الزمان ؟!

** وختاماً ، لا يسعنى الإ أن اقول لمن « يستنكر ويرفض بشكل قاطع كلمة مستشرق » (الجهاد مايو ١٩٩١) لارتباطها بالمغالطات والتضليل .. اقول لمن يقول عن نفسه : « أنا مؤرخ اجتماعى وباحث متخصص فى شئون العالم الإسلامى »(المرجع السابق) .. أقول له : ياكبير المستشرقين ! إن أبجديات المؤرخ الاجتماعى والباحث المتخصص الالتزام بالأمانة والصدق والموضوعية .

** لذلك أقول لكبير المستشرقين : لقد هويت يا من كنت عملاقا .. ويا لها من هاوية كشفت عن وجهيك!

** إنه يتعين عليك أن تبدأ المشوار من جديد ، بأن تعيد النظر فى الثقة التى منحها لك مجمع اللغة العربية بمصر ، وأسأت استخدامها باستغلالها كتصريح لنشر كتابك بكل ما يتضمنه من فريات : فكل ما ورد فى بحثنا هذا لم يكن الا مجرد نماذج سقناها على سبيل المثال .. مجرد شذرات ندلل بها على بعض مما رأيناه ، وما خفى كان أعظم ..

** نعم ، أقول لجاك بيرك أن يبدأ المشوار من جديد ، بتعلم أبجدية البحث العلمى ، وأبجدية الأمانة العلمية ، وأبجدية الترجمة برمتها .. وقبـل ذلك كله ، أن يتعلم أبجدية إحترام معتقدات الآخرين ومقدساتهم.

******

عذر أقبح من ذنب !

بعد عامين من صدور ترجمته المغلوطة لمعانى القرآن (ديسمبر ١٩٩٠) ، قام السيد چاك بيرك بإصدار كتاب جديد ، فى مارس ١٩٩٣ ، يحمل نفس العنوان الذى كان قد وضعه لتلك المقدمة الطويلة (٨٢ صفحة) ، المليئة بالفريات ، والتى تناولنا بعضا مما ورد بها فى البحث السابق .. أى أن هذا الكتاب الجديد والذى صدر بعنوان : « إعادة قراءة القرآن » . هو عبارة عن أربع محاضرات وخاتمة ، كان قد ألقاها فى « معهد العالم العربى » بباريس .

ويقول البيان الذى على الغلاف الأخير لهذا الكتاب ، وعادة ما يكون بمثابة تقديم بقلم المؤلف :

« قام چاك بيرك ، عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة والأستاذ الفخرى بالكوليج دى فرانس ، وعالم الاجتماع والمستشرق ، الذى يطلق عليه أحيانا « العابر بين الشاطئين » بتقديم عدة محاضرات بمعهد العالم العربى حيث راح يشرح لجمهور عريض الكتاب المؤسس للإسلام وذلك بعد نشر كتابه المعنون : « محاولة لترجمة القرآن » .

وفى مواجهة تفكك ظاهرى قام چاك بيرك بمضاهاة عبارات مضبوطة مدهشة تكشف عن تكوين من الوحدات المتشابكة ، أن الرسالة تجمع بين الإبلاغ المطلق ومعالجة المعطيات المحددة : وبذلك استقرت القيم الدائمة التى يمليها فى الزمن البشرى ، وفى الوقت الذى يلوّح فيه البعض بامتداد شريعة جامدة أو مستقاة ، فإن چاك بيرك يؤكد على نداء النص إلى العقل ، وانفتاحاته إلى التجديد . وأخيرا فإن اللغة التى توصف تقليديا بأنها لا تقلد ، تكشف عن أنها تغيير للغات العربية الحقيقية إلى نسق لغوى له معان مميزة .

« إن إعادة قراءة القرآن ليست مقدمة بقدر ما هى إرشاد يدعو للتعرض بالعقل والقلب لواحد من نصوص ذلك التراث العالمى الذى كان چول ميشليه يرى فيه إنجيل الإنسانية » .

واختصار هذا التقديم الذى يبدأ بقراءته كل من يمد يده ليشترى الكتاب ، يتضمن ما يلى :

* الإشارة إلى التفكك الظاهرى لنص القرآن وأن المؤلف قد أشار إلى عبارات مدهشة .

* الرسالة تجمع بين المطلق والزمانى ، وهو ما سيخرج منه المؤلف بأن القرآن غير صالح لكل زمان ومكان بما أنه مرتبط بأحداث ووقائع زمانية محددة .

* إن الذين ينادون بشريعة ثابتة جامدة ، يدعوهم المؤلف إلى استخدام العقل لتغيير النص القرآنى ومعطياته ..

* لغة القرآن المشهورة بالإعجاز ليست بمعجزة وإنما هى انعكاسات للغات العرب ، وإن كان لها ملكات أو معان مميزة .

* إن هذا الكتاب [أو هذه المحاضرات] هو إشارة وتوجيه لتغيير تفسير القرآن بالعقل والقلب ! .

وإذا ما أعدنا النظر فى هذه النقاط الخمس – بغض الطرف عما تتضمنه من معان – نجد أن اثنتين منها تدعوان صراحة إلى تغيير النص القرآنى ، خاصة وأنه غير صالح لكل زمان ومكان ، وبالتالى فهو لا يتمشى مع متطلبات العصر الحالى ، على حد ما كرره المؤلف فى المقدمة وفى المحاضرات ، وهذه هى بعض المحاور الأساسية التى أوردها فى كتابه الأخير ، والتى سنتناولها بشئ من التفصيل .

والمحاضرة الأولى بعنوان : « مداخل إلى بنية » ، يقول فيها المؤلف چاك بيرك إنه سيتناول « موضوع القرآن بنوع من التقمص المفترض فيه الإخلاص والانتماء ، ولا علاقة له بالتحذلق المتعجرف الذى يلجأ إليه كثيرون من المتخصصين فى هذا المجال » .. موضحاً أنه « سوف يستبدل التبحر بالتأمل والتحليل والمصطلحات ... أى أنها إعادة قراءة اعتمادا على المكتسبات المنهجية وعلى الحس الذاتى لكى يتعرض لنصوص كبيرة فهمتها الأجيال السابقة بطريقتها » ... مما يعنى أن فهم الأجيال السابقة غير مبنى على الأسس العلمية والمنهجية ، وأنه فهمها فهما صحيحا اعتمادا على هذه العلوم الحديثة ليشرحها لنا ، ليكون شرحه إرشادا للتغيير المطلوب .

ويواصل المؤلف قائلا إن مثل هذه القراءة لا يمكنها أن تغض الطرف

عن « شاعرية » هذه « القصيدة » [التى هى القرآن] : « ولن نغفل هذا الجانب الصوتى للقرآن ، ذلك النص الذي يتصاعد إلينا كعمود من الأصوات ، منذ القرن السابع الميلادى ، على بعد قرن تقريبا من جوستنيان ، وهى أصوات حاملة للإيمان والتصرفات ، إيمان مئات الملايين من البشر »

ورغم عبارات التغنى ، فإننا نخرج من هذه البداية بأن القرآن فى نظر جاك بيرك عبارة عن قصيدة شاعرية صيغت أو تم تجميعها - كما سيقول فيما بعد - على مقربة قرن من عصر جوستنيان ، ذلك الإمبراطور الرومانى الذى تأثر به القرآن وبالقوانين التى أخذها عنه ..

ثم يحدد نقطة ثالثة بأنه « غير مسلم وغير معاصر لنزول القرآن .. إلا أن لذلك ميزته من ناحية أخرى ، « فالعين بحاجة إلى المسافة لتدرك ما تراه بوضوح » أى إن ذلك سيسمح له بإدراك المآخذ التى لم يدركها المسلمون .

وهكذا نراه - منذ البداية - يتمسك بموقف بعينه ينسج من خلاله نفس الأفكار التى طرحها فى المقدمة السابقة ، وإن كان بشئ من المواربة أحيانا وبكثير من السفور فى أحيان أخرى .

فبدأ بإصراره على استخدام لفظة « نزول » [كنزول السلام] ، موضحا « أن القرآن لم ينزل فى شكله المطبوع الحالى ، وإنما فى أجزاء غير متساوية وفى أوقات متقطعة ، بلا أى انتظام ، سواء فى مكة أو فى المدينة من ٦١٠ - ٦١٢ إلى ٦٣٢ ميلادية » ، مصرا على التشكيك فى تنزيله وتدوينه قائلا :

« إن الذين يتناولون هذا التجميع [أى القرآن] بلا إعداد مسبق يشعرون بالإرهاق من كثافة وعدم ترتيبه الظاهرى . فكثير من الغربيين يتحدثون عن تفككه : لأن الخطاب ينتقل من موضوع إلى آخر بلا استكمال ودون أن ينتهى .. ونفس الموضوع يظهر هنا وهناك بلا انتظام واضح ، ومن المحال الاهتداء فى مثل هذا النص الزاخر الذى لا توضحه لا عناوين السور ولا الوقفات التى يقوم بها المترجمون عشوائيا ، ولا البيانات أو الفهارس التى يزعمون التزود بها إجمالا ، على الرغم من جمال بعض المقاطع ، يقال إن قراءته مخيبة للآمال » ..

هذا هو رأى السيد جاك بيرك حتى وإن وضع عباراته فى صيغة المبنى للمجهول ! ثم يبادر قائلا فى الفقرة التالية : « ومع ذلك ، إذا ما تعمق الفحص ، سيعاد نظر فى هذه الانطباعات السطحية ... فتناثر الموضوعات هذا متعلق بوحدة إجمالا ، وكل هذا التناثر للكلمات والصور والأحداث يقودك إلى خطوط تتلاقى ... فالقرآن أشبه ما يكون بشكل متعدد الأسطح : وحدة واحدة متعددة الوجهات ... أشبه ما تكون بذلك الشكل ذى الاثنى عشر سطحا ، أو الشكل الشهير فى الهندسة الإسلامية حيث - يقال - إن المشتغلين بالكيمياء قديما كانوا يرون فيه تشكيلا للكون »... وفى النهاية يوضح أنه يمكن تلخيص القرآن فى التعبير عن وحدانية الله .. « وأن الـ ٦٢٠٠ آية تقريبا يمكن تلخيصها فى سورة الإخلاص » .

ثم ينتقل إلى مدخل آخر وهو تقسيم القرآن إلى « ١١٤ سورة من كافة الأحجام والمقاسات » ... وهذا التقسيم يصدم منطق بعض القراء لأن بعض السور تتضمن ٢٨٦ آية بينما غيرها لا يتضمن سوى ٤ ! أى أن هناك عدم توافق مهول بين السور، والأكثر من ذلك أنها مكثفة المضامين وعادة ما تتناول أكثر الموضوعات اختلافا ... والمجلد الذى أمامنا لم يلتزم بذلك الترتيب الزمنى والذى سأتناوله على التو ، وإنما أعيد تكوينه فى مسطح واحد متتالى » .

وبدلا من التشكيك فى تنزيل وترتيب القرآن ، كان الأجدر بالسيد المستشرق أن يفتح ولو كتاب الجهشيارى المعنون : « كتاب الوزراء والكتاب » ليطالع كيف كان يتم تدوين القرآن أو كيف كان يكتب الوحى فور تنزيله وكيف ثبّت بلا تحريف ..

وبعد توضيح كيف اعتمد الاستشراق على الترتيب الزمنى للقرآن « ليتبيّن تطور مفهوم الله بناء على التأكيدات المتتالية الواردة فى النص » يقوم بشكر ذلك الاستشراق على « أنه أدخل النقد فى مجال ترك بشكل مبالغ فيه بزعم أنه حجة » ، ليخرج من هذه النقطة إلى ضرورة إخضاع القرآن لدراسة تجمع بين علم المنطق ، والرموز والعلاقات ، والصوتيات ، الأمر الذى لم يتم للآن .

وبعد أن تناول القرآن من حيث الشكل ، انتقل إلى المضمون قائلا إن

به « نفس الفوضى الشهيرة المشار إليها والتى تخبط العديد من المستشرقين .
نعم ، كل سورة من السور متعددة الموضوعات . وذلك هو نفس نظام الشعر الجاهلى . وكل جزء من السورة هو نفسه متعدد الأبعاد وكثيرا ما يكون تكراراً . وذلك أمر حقيقى إلى درجة أن ريتشارد بل ، وهو واحد من أكثر المستشرقين الانجليز تبصراً ، قد افترض فى دراسة له عام ١٩٣٧ ، أن اللجنة التى شكلها عثمان لتجميع القرآن قد عثرت أحيانا على وثائق تتضمن عدة تنويعات لنفس السورة ، ونظراً لعدم جرأتهم على الاختيار بينها فقد ألصقوها تباعاً ، الأمر الذى يفسر التكرار الذى يلاحظ فى بعض أماكن من القرآن والقفزات المتتالية فى المعنى وهو تفسير من ضمن التفسيرات » .

وانتقل بعدها إلى النظام التزامنى الذى يتعارض مع النظام التركيبى التعبيرى .. لذلك يرى سيادته « أن نسيج القرآن يذكره بذلك السجاد المغربى الذى تظهر فيه نفس الوحدات اللونية فى الوسط وفى الأطراف » !

وهنا لا يسعنا إلا أن نقول له : إذا لم تستح فافعل ما شئت .. فعلى الرغم مما فى عباراته من استهتار يكفيه تشبيهه القرآن بالسجاد ، والسجاد مداس يوطأ بالأقدام .. وإن لم يكن بذئ النية إلى هذا الحد لاختار عبارة أخرى ، لكن الإسفنجة تنضح بمحتواها ! .

ومرة أخرى يعود إلى صلاحية القرآن قائلا إن قراءته المتأنية تكشف عن أن محتواه يدور حول مجموعتين من الأبعاد : « بعد الدوام وبعد الظروف » وأبعاد الدوام هى تلك التى تتعلق بالأخرويات ، اما أبعاد الظروف فهى التى تتعلق بالإشارة إلى الأحداث الزمانية لوقت التنزيل مثال وصف معركة بدر أو « الأجزاء المحتشمة المتوارية لكنها واضحة ومتعددة والمتعلقة بحياة النبى ، وأجزاء متعلقة بظاهرة أو بفينومنولوجيا التنزيل » ! وهو ما سيستند إليه أكثر من مرة ليثبت عدم صلاحية القرآن لكل زمان ومكان ..

وينهى هذه المحاضرة الأولى باكتشاف مدوى « لم يسبقه إليه أحد فى مجال الدراسات القرآنية لا فى الشرق ولا فى الغرب » - على حد قوله - حول تناظر بعض الكلمات فى بعض مخطوطات القرآن - مستشهدا بإحدى مخطوطات المسجد الكبير فى تونس .

وكالمعتاد ، حتى فى الإعلان عن اكتشافه المتفرد هذا ، لا يدع الفرصة تفوته للتأكيد على تشكيكه فى تنزيل وترتيب القرآن قائلا : « إن نظام هذا المخطوط لا يتبع مطلقا ترتيب النزول فلا بد إذن أن هذا التناظر قد تحكم فى تجميع الأجزاء المتناثرة التى تم تنظيمها بأمر الخليفة عثمان ، وأنها تتفق ونظام نظرى معد مسبقا .. وإجمالا ، سيقول المؤمن : إنها معجزة أخرى فى كتابه المؤسس ! أما الباحث العلمانى فسيرى فيها بلا شك حالة محدودة من حالات النصوص المنتظمة التى تتحدث عنها الدراسات اللغوية الحديثة » .

ثم يستشهد بأهمية هذه الدراسات المستقبلية ، ولا يفوته توجيهها فى مجالات الإيقاع والنغم والتنقيط وعلامات الوقف الخ .. مختتما المحاضرة قائلا بكل فخر : « ها هو مبحث جديد لم يتم بعد ولا يوجد ما يمنع من الشروع فيه . هيا .. إلى العمل » !!

وتدق الموسيقى وترتج القاعة من هتاف الحاضرين وتصفيقهم الحاد .. وهنا لا يسعنا الا أن نسأل سيادة الباحث العلمانى : ألم يدرك من نفس شكل المخطوط وألوانه أن اكتشافه الجديد المتفرد هذا ليس بجديد ؟! ألم يلفت نظره أن مجرد كتابة المخطوط باللون الأسود والكلمات المتناظرة باللون الأحمر - كما قال - أن ذلك يعنى أن الخطاط على الأقل - مدرك لهذه القضية أو لهذه الإمكانية بدليل أنه كتبها بلون مخالف ؟!

يؤسفنا أن يكون ذلك هو مستوى الاكتشافات العلمية العلمانية لهذا الباحث ، فموضوع تناظر بعض الكلمات فى بعض المخطوطات القرآنية يمثل فنا من فنون الخط العربى ومهارات الخطاطين . وقد نشأ هذا الأسلوب مع الخطاطين الأتراك منذ القرن السادس عشر الميلادى . وكان العالم التركى سعيد النورسى وشيخ جماعة النور بتركيا ، من الذين أشاروا إليه ولهم دراسات فيه .

ومن نماذج هذه المخطوطات مصحف مطبوع بالمدينة المنورة تتناظر فيه كلمة الجلالة إذا ما بدأ بها أول السطر فى بداية الصفحة ، وهناك مصاحف أخرى تتناظر فيها كلمة الرحمن أو كلمة الرب .

وتدور المحاضرة الثانية حول موضوع « الزمان فى القرآن » أو « كيفية إدخال الزمان فى تبليغ المطلق » أى أنه سيدرس « إلى أى مدى سينتشر هذا

المطلق الذى تم تبليغه للبشر وإلى أى مدى سينتشر هذا الخلود المهاجر فى الزمن ؟ » إلى أى مستوى من النص ؟ إلى أى مدى من الحلول المقترحة أو المملاة . والمؤسسات الناجمة عنها والأدوار الاجتماعية والتصرفات ، بل والشخصيات التى استندت إليه – أو ما زالت تستند إليه فى الإسلام – وهى بعض المشاكل التى أثارها باقتضاب ..

ولقد اتخذ من الزمان ومفرداته كالدهر والحين والعصر – [الذى يرى أنها عبارة مشتقة من العصير ومن فعل يعصر] !! والمصير والطور ليصل إلى كلمة « الأجل » التى استخدمها فى المقدمة المرفقة بترجمته لمعانى القرآن ليفترى على لسان أبى بكر قائلا « إن لكل كتاب أجل » .. إلا أنه هنا قد أضاف عبارة « إن الأجل المحدد للقرآن هو ذلك الزمن الباقى للإنسانية منذ تنزيل القرآن إلى يوم القيامة » !! الأمرالذى يكشف عن سوء نيته المبيت ، إذ فعل كمن يقول « لا تقربوا الصلاة » ويبنى استنتاجاته على ذلك دون أن يستكمل بقية الآية التى تنص على الحالة بوضوح . ولا نملك إلا أن نتساءل بما أنه يعرف بقية العبارة : لماذا لم يوردها فى المقدمة وأنما بترها ليتلاعب بأسماء الآخرين ؟! إنه مجرد نموذج من النماذج المتعددة الواردة فى هذه المحاضرات ، والتى حاول خلالها التنصل أحيانا مما زج به سابقا ، وإن كانت عباراته المتلفعة بمسوح العلم والموضوعية قد فضحته حتى « النخاع » لكى نستخدم عبارة عزيزة عليه !!

وفعل نفس الشئ عندما تناول المعطيات الواردة الخاصة بالقصص والتى « تقع فى إطار أسطورى وهمى وخيالى ، لنسارع بالقول أنه لا يوجد من جانبنا أية سوء نية أو عدم احترام فى تحديد هذه الأهداف الثلاثة والتى يتعيّن أن نميّز بينها بالقدر المطلوب » . وعند تعرضه لسورة الكهف يقوم بتخفيف تلك العبارة السابقة التى شبّه فيها القرآن بالأساطير وبمسرحيات العبث عند كير كجارد ، فخفف من وقعها قائلا : « إن الأفعال الاستفزازية التى يقوم بها الخضر ينجم منها نوع من العبث على طريقة كير كجارد » !!

أما صفة « ذو القرنين » فى هذه السورة فلم يترجمها بمعناها الذى يدل على السيادة : « القرْن من القوم : سيدهم » ، ولا حتى بمعناها

التاريخى فى الديانات المصرية والهندية واليونانية القديمة ، حيث القرنان يرمزان إلى قوة الآلهة ، وإنما ترجمها بمعناها القبيح الشائع فى اللغة الفرنسية كما فى اللغة العربية بمعنى « القرنان » كنعت سوء للرجل الذى لا غيرة له على أهله ! فكتبها : "le Bicornu" وكان لزاماً عليه أن يترجمها قائلا : "aux deux cornes" .

عبارات معسولة أو منمقة تتوسط الطعنات .. ويا لها من موضوعية !

ومرة أخرى يعود إلى قضية القرآن وهل هو « مخلوق أو غير مخلوق » ؟ قائلا : « إن القرآن غير مخلوق وفقا للتراث » وأن « هذا الكتاب غير المخلوق وفقا لإسلام الأغلبيه [وكأن هناك عدة إسلاميات أو إسلام للأغلبية وآخر للأقلية] ، يحمل مئات التلميحات الزمانية شديدة التحديد ، المميزة ، والتى يمكن تأريخها ... وعندما يتناول [القرآن] إحدى هذه المناسبات عادة ما يقدمها بأسلوب تلميحى : وهو شكل غير دقيق بالمرة تضعه الأبحاث المتخصصة تحت بند « المبهمات » – أى الأشياء غير الواضحة ... والتراث ، أيا كانت منابعه ، يجاهد لمداراة مختلف ما يحتوى عليه من عدم دقة ... وقد أشار السيوطى إلى حوالى ٢٥٠ من هذه المبهمات » .

وتستمر محاولاته للنيل من النص القرآنى بكل ما به من دقة مزعومة وأمانة علمية وتبحر ليثير قضية النسخ فى القرآن مستندا إلى الآية ١٦٠ من سورة البقرة : **﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها ﴾** قائلا : « تحدث فى بعض الأحيان أن يتضمن القرآن آيات تم استبدالها بأخرى إلا أن القرآن قد أحتفظ بالمجموعتين . وقد يدهش الإنسان الغربى من هذا الوضع ، لكن المذهب الإسلامى لا يقدم تبريرات تذكر لهذا الوضع . وهو موقف كلاسيكى فى العالم العربى والإسلامى ... واختصاراً لقد تمت عملية النسخ فى أكثر من نصف السور أيام التنزيل نفسه ، وجرى ذلك فى مجال فى غاية الأهمية وهو التسامح مع المعارضين ، وقد استبدلت الآيات لتوضع « آيات السيف » التى تطالب بموقف أكثر صرامة . إلا أننى أعترف بأن الخلافات قائمة أيضا فى هذا المجال » .

وأسباب التنزيل والأحداث الزمانية من الموضوعات التى أثارها أكثر من

مرة مثلها مثل قضية الشعر الجاهلى ، ليؤكد على ارتباط القرآن بأحداث محددة غير صالحة لكل زمان ومكان . وهنا يستشهد بحكاية الرسول عليه الصلاة والسلام وزواجه من زينب ليخرج منها بتأكيده أن آية تحريم التبنى قد نزلت لتبرير هذا الزواج قائلا : « من الصعب العثور على مثال أكثر وضوحا لأسباب معيار تصاعدى بواقعة عارضة إنسانية وشخصية بهذاالشكل ! إنه أمر يصعب إدراكه لشخص معاصر يحاول ألفهم ويضع نفسه فى موضع النقد والشك من الشرق » .

ويخرج من هذه النقطة بأن « عملية التنزيل من ناحية المطلق إلى الإنسان عملية معقدة فى سياقها وفى انعكاساتها التاريخية ؛ إذ تتضمن توريطات فى غاية التعقيد ... إن الزمانية ستتغلب مع الوقت ، مع الابتعاد عن منابع الرسالة وعما يطلق عليه اللغويون « الراسل » ! مؤكدا أن الرسالة السماوية لا يمكن أن تصيب المجتمع الإنسانى بالتحجر – وإن كان قد استخدم لفظه « التبلور » .. فالبللورات – رغم جمال العبارة – هى جزئيات متحجرة !

ثم يعـرب چاك بيرك عن اعتراضه على ثبات النص القرآنى وثبات الالتزام به « إذ إن وجهات النظر المغايرة المليئة بالجمود والتى ترمى إلى عمل توليفة بين قدسية القرآن والمؤسسات النـاجمة عنه ، والاستنبـاطات المستمدة منه، بل والأشخاص القائمين على ذلك لا نعتقد أن لهم أى تبرير عقائدى لما يفعلونه » ! موضحا كيف أن رأيه هذا يماثل فى أمانته رأى أكثر علماء الإسلام القدامى اصالة لأنه يرى « أن الوحى القرآنى يدعو إلى الحياة التى هى حيّة لأنه يستند إلى القيم الراسخة » ولذلك أيضا يدعو إلى عقل الإنسان ويضعه فى موضع المسئولية ، فبدلا من التوقف فى منطقة ، أو شعب ، أو فترة ما ، إنه يزعم صلاحيته لكل الشعوب فى تحولها بفعل الزمان وفى تأثيرهم على الزمان ».. فبما أن القرآن يدعو إلى الحياة ، والحياة عبارة عن حركة وتغيير ، فعلى المسلمين أن يقوموا بتغيير مفاهيمهم الدينية وبنص قرآنهم حتى لا يوصموا بالجمود فى نظر السيد بيرك وحتى يمكن للقرآن أن يتمم رسالته ويكون لكل الشعوب وفقا لهواه ..

وهنا لا يسعنا إلا أن نقول لكبير المستشرقين ، بدلا من البحث بأية

وسيلة وبأية اسانيد مبتورة أو مفتعلة للترويج لعملية تغيير أو تطوير النص القرآنى ومفاهيمه ، ليتك حاولت فهم الفرق بين الاستقرار والجمود ، بين الثبات والرسوخ ، وثبات المبادئ – التى هى من دعامات الإسلام – وبين الحركة الدائبة والتغيير والتبديل وعدم الاستقرار – التى هى من آفات الغرب – فعلى حد قول الفيلسوف الفرنسى رنيه چينون ، الذى أسلم واختار اسم عبد الواحد يحيى ، وأمضى آخر عشرين عاما من حياته فى فهم الإسلام والدفاع عنه « إن الثبات أو الاستقرار ليس ما هو مناقض للتغيير وإنما ما هو أعلى وأرقى منه » .. وهنا لا يسعنا إلا أن نقترح على السيد المستشرق أن يقرأ بعض مؤلفات عبد الواحد يحيى ، وهى ما زالت بالفرنسية ، ومنها كتابه عن : « الشرق والغرب » ، و « أزمة العصر الحديث » ، و« لمحات حول علم الباطن الإسلامى » .. وهى جزء من كثير يوضح فيه ما فاتك وفات الغرب أن يدركه فى الإسلام وحضارته .

وأما المحاضرة الثالثة فهى بعنوان « معيارية القرآن » وقد بدأها قائلا : « إن معيارية وشرعية وتطبيقات النص المقدس : كلها قضايا يثيرها الجدل الكبير القائم حاليا حول وصول أو عودة البلدان المسلمة إلى الشريعة أو إلى القانون القرآنى ، وهى ليست عودة بمثابة استمرارية إسلامية لما تمت ممارسته حتى الآن ، بلا انقطاع ، منذ الأيام الأولى فى بعض قطاعات الحياة كالوضع الشخصي أو الميراث، وإنما هى عودة فى شكل توسع جديد للقرآن تحت شكل قوانين تدرك وتصاغ للرد على كافة احتياجات الحياة المعاصرة ».

وذلك هو ما يزعج السيد بيرك حقيقة ، فهو لا يريد أن يظل القرآن مصدرا للتشريع فى الإسلام ، وخاصة لا يريده مصدرا للرد على قضايا الحياة المعاصرة . وذلك لأن « هذا التشريع يتضمن القانون التجارى مثلا ، والقانون البحرى ، وبالطبع قانون الالتزامات والفروض ، وكذلك القانون القمعى – فالقهر يلعب دورا كبيرا بالطبع فى هذا المشروع ، لأن استعادة الدولة والمجتمع يعنى كل هذه الخلافات » .

وقد انصب تركيزه على كلمة « شريعة » التى تمثل محورا من أهم محاور الجدل الدائر حاليا . « إن الشرعية هى الشرع أو القانون المنزل خاصة

فى شكله أو فى روحه القانونى . ومـع ذلك فهيهات أن تعنى الكلمة الأســاسية ذلك المعنى الـذى يضفـونه عليهـا اليوم . فلغـويا شـريعة تعنى « الوصول إلى المسقى » ولا يوجد لها فى القرآن سوى أربعة استخدامات للمصدر وهو أمر جد قليل : **﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليه ﴾** (الشورى ١٣) [وقد أغفل ترجمة كلمة « لكم » التى تؤكد على أن هذا التشريع خص به المسلمين] . راجع الشورى ٢١ : **﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ... ﴾** ، **﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ﴾** (المائدة ٤٨) الأمر الذى يدل على تساوى معنى شرعة ومنهاج . والمنهاج هو الطريق ؛ والشرعة هى عملية اتخاذ الطريق ، مما نجم عنه الشكل الاستهلالى لهذا المفهوم » .

وبعد هذه السفسطة التى حاول أن يثبت من خلالها أن الشرع أصلا غير وارد فى القرآن وأن الكلمة تعنى « الوصول إلى السقى » يقول : « إن كلمة شريعة لكى تعنى « شرعا منزلا » تصبح تحريفا شرعيا أو مباحا وإن كانت قد ثبّتت وحجرّت الليونة اللغوية للمصدر » !

ثم تناول بنفس النمط الحلزونى كلمات وصى ، وأوصى ، والوصى ، وليتحدث عن الميراث ، وتناول كلمات الحد ، والموعظة ، والسنّة ، والعرف والمعـروف والحكم ، ليـوضح ، بعد القفز على الكلمات والمعانى والدلالات ، أن « رغـم انتشار هذه الكلمة فهى أكثرهم قربا من المعنى الفرنسى لكلمة معيار . ويوجـد لها ١٨٠ أو ٢٠٠ استخداما فى القرآن ، مما سمح لواحد من أعمق علماء القرن الثامن عشر الميلادى ، هو شاه ولى اللـه دهلوى أن يستخدم عبارة « حكم الأحكام » ليترجم ما يمكن أن نقول عنه بلغة العصر « المعيارية » . ويخرج من هذا اللغو الذى لا معنى له سوى استعراض عضلات اتساع قراءاته ليقول : « والآن يحق لنا أن نطرح السؤال : هل الإنسان المسلم مكبل إلى هذا الحد من كافة النواحى ؟ » .

« إذن يحق لنا ان نتساءل ، عن حق ، عن عدد المعايير التى يتضمنها القرآن » واذا ما تساءل المرء : وما سر هذا الاهتمام المتحذلق أجـاب قـائلا : « يتسائلون ، فى النقاش الحاد الدائر حاليا ، منذ عقد تقريبا ، فى بعض

المجتمعات الشرقية أو فى بعض قطاعاتها ، إن كانوا فى وضع أو حتى إن لم يكن من حقهم إعادة النظر جذريا فى العتاد القانونى مثلما ورثوه من أيام فترة التوغل الغربى ، لكى يعودوا إلى الأصول فى القرآن . لكن على ألا يستلهمونه مثل الفقهاء أو الزهاد القدماء الذين كانوا يستوحون أساسا قاعدة إلهامهم . لا : لا شئ من هذا القبيل ، ولكن ليستخرجوا من القرآن ما يزودوا به المجتمعات الإسلامية اليوم قرابة أربعة أو خمسة آلاف من المعايير التفصيلية ، المجزأة فى بنود ، على طريقة قانون نابليون ، والتى هم بحاجة إليها ليتحركوا » .

ثم يحاول إحصاء عدد القوانين أو المعايير الواردة فى القرآن ليفاجأ بأنها « جد شحيحة » فإذا ما كانت هناك قرابة سبعمائة آية تتعلق بالكون ، فإن محمد بن عبد الله بن العربى لم يذكر فى كتابه « أحكام القرآن » سوى ٢٠٠ أو ٥٠٠ ، ويسارع چاك بيرك بالتساؤل عن عدد الأحكام فى العهد القديم فيقول أنها ستمائة ، وكم عددها فى القانون الرومانى ؟ ألفان وأربعمائة وأربعة عشر !! « ويا له من عدم توافق مذهل فى التناسب » !

وعلى التو يستنتج سيادته أن قلة عدد الأحكام فى القرآن - كما يقول - ليست وليدة الصدفة وأن « القرآن قد ترك جزءا كبيرا لمبادرة المؤمن أو لرجل القانون . وهو نداء لا معنى له سوى اتخاذ المبادرة والحرية وفتح باب الاجتهاد والتجديد » .. وفتح باب التغيير والتحريف .. وكل ما يحاوله الغرب من دسائس باسم العلم !

وهو نموذج من عشرات الأمثلة لنوضح كيف يتفلسف السيد چاك بيرك ليلوى معانى النصوص والكلمات ، بل والقرآن برمته ليخرج باستنتاجات تدعم مجهوده المنبت فى محاولة تخريب القرآن تحت زعم الحداثة والعصر ومتطلبات العصر الحديث ..

ثم تتجلى قريحته ليؤكد أن القرآن لا يتضمن سوى آية واحدة خاصة بما يطلق عليه القانون المدنى وهى : ﴿ ... **وأحل الله البيع وحرم الربا** ﴾ (البقرة ٢٧٥) وعلى العكس من ذلك « فإن القرآن يزخر بآيات العقاب الخاصة بالقتل والسرقة والزنا وربما الارتداد والخمر .. » موضحا رغم محاولة

تخويفه أن هذه العقوبات تتعلق بمدى توبة الجانى وتطالب القاضى بالرحمة .

ودون الدخول فى تفاصيل قانونية نلفت انتباه السيد جاك بيرك أن يكلف خاطره ويطالع عدد الرسائل الجامعية ودرجات الدكتوراه التى منحتها السوربون لرجال القانون فى مطلع هذا القرن ، ولا نذكر منهم على سبيل المثال سوى محمود فتحى ورسالته عن « التعسف فى استخدام الحق » أو الدكتور السنهورى ورسالته عن « فقه الخلافة وتطورها » ليرى بالوثائق والابحاث التى تمت على أيدى بنى جلدته كم كان القانون الإسلامى أو التنزيع الإسلامى سباقا على بقية القوانين وخاصة على قانون نابليون الذى يتغنى به أو قانون جوستنيان الذى يزعم فى أكثر من موضع أن القرآن أخذ عنه أو نهل منه أو تأثر به !!

ولن نضرب له مثلا إلا بقاعدة الإثبات فى المواد المدنية والتجارية ، فى آخر ما وصل إليه التشريع فى فرنسا ، وكيف إنها توجب إثبات الديون المدنية بالكتابة أما التجارية فيجوز إثباتها بكافة طرق الإثبات . وهو ما نص عليه القرآن بوضوح لا لبس فيه . إذ نجد فى سورة البقرة : ﴿ **إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ... إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم** ﴾ (الآية - البقرة ٢٨٢) !

ثم يتباكى المؤلف على أن القانون الإسلامى مكبل بالماضى ، « وهو أمر مفهوم فى جو متدين محافظ ، لكنه معوّق فى فترة تغييرات متلاحقة » ، مؤكدا على أن « معظم حلول الفقه رجعية الطابع ، وتعانى من الجمود والبلبلة ، كما أن أحكامه الكلاسيكية تترك جانبا الكثير من مشاكل الحياة الحالية » .. إلا أن ما يغضبه حقا وما يغضب محركيه هو « أن الغرس الثقافى الغربى الواضح منذ أيام « المجلة » العثمانية ، يدفع الإسلاميين حاليا إلى المطالبة بالعودة إلى الشريعة بشكل متناقض » !

ثم يختتم هذه المحاضرة الثالثة قائلا : « إن إعادة النظر فى التشريع ستأتى بمزايا لا تحصى فى المجال العملى: شريطة أن تتم فقط وفقا للخطوط المبتكرة التى حاولت استخلاصها ، أى بالجمع بين الإخلاص والتاريخانية والحداثة » !!

الأمر الذى يكشف بوضوح ما يسعى إليه السيد بيرك .. فبعد أن أوضح

كيف أن القرآن مفكك ، مليء بالإبهامات، وغير صالح لكل زمان ومكان، فهو مخلوق لظروف بعينها، وشريعته جامدة، لا تتمشى مع متطلبات العصر الحديث، لأن معظم حلول الفقه المستمدة منه رجعية، تعانى الجمود والبلبلة، وقائمة على القمع والقهر .. بعد تقديم هذه المسببات والعديد غيرها – الذى لم نتناوله – يطالب المسلمين بإعادة النظر فى تشريعهم لأن ذلك سيأتى بمزايا لا تحصى شريطة أن يتم ذلك فقط وفقا للخطوط المبتكرة التى استخلصها سيادته!

وهنا لا نملك إلا أن نسأله ، بعد كل ما طرحه فى التواء متحذلق حينا ، وفى وضوح يكشف عن نوايا جد بالية متكررة . لم كل هذا السعى الخثيث لتفرض على القرآن – الثابت تنزيله – ما رفض الفاتيكان تطبيقه على نصوص الأناجيل الثابت تحريفها على مر العصور وعبر المجامع ؟! وإن هالتك الدهشة أو عدم الدراية ، فلتقرأ الخطب الرسولية للبابا بيوس العاشر ضد الحداثة ومنها : « أشياء مجزئة » (lamentabili)، و« المراعى » (Pascendi)، و« الدرب » (le sillon)، و « اهتمامات » (quanta cura) ، وهى من أواخر القرن الماضى .. لترى كيف قامت الكنيسة بمحاربة وحرمان من يمس أصولها المحرفة .. فما بالك بنصوص منزّلة ؟!

وتحمل المحاضرة الرابعة عنوان : « القرآن واللغة العربية » ، وقد بدأها باستشهاد للجاحظ يقول فيه: « إن الله قد أرسل محمداً إلى العرب الذين كانوا شعراء وخطباء » .. وبعد استكمال الاستشهاد يقول چاك بيرك : « ذلك هو ما تضفيه العقيدة إلى المعجزة ، إنها إحدى المعجزات من ذلك النوع الروحى والتى لا تؤدى إلى أى إقلاق فى نظام الطبيعة ، وبناء على ذلك فإن الإسلام يتم تميزه على العقيدتين المنزلتين الأخريين . وكما ترون ، يوجد فى نظر المؤمنين صلة عضوية بين التنزيل الإسلامى واللغة العربية ، وهو جو مختلف تماما عما يسود فى المسيحية ، حيث يتحدثون عن التجسد » [أى تجسد الله عز وجل فى السيد المسيح] .

ثم يواصل حضرته قائلا : « بالفعل ، إن مسألة اللغة لا تلعب عمليا أى دور فيما يتعلق بالأناجيل ، فالخطاب الذى كان يعظ به يسوع لا يتطلب اهتمام المفسر ، وما كاد علماء التاريخ فى القرن التاسع عشر يتساءلون عما

إذا كانت فلسطين الرومية ، وكانت آنذاك بلدا شديدة الاختلاط ، يتحدثون فيه عدة لغات ، إذا ما كان يسوع يستخدم الآرامية أكثر من العبرية . ونميل إلى الاعتقاد أنه كان يعبّر خاصة بالآرامية وإن كان يجيد عبرية الكتاب المقدس .

وهنا لا بد من وقفة نبدأها بأن فلسطين لم تكن « رومية »، وإنما كانت خاضعة آنذاك للحكم الرومانى . والفرق شاسع بين الهوية والخضوع للاحتلال ! ، ثم ، بغض الطرف عن حشر موضوع الأناجيل لعمل مقارنة تتيح له النيل من النص القرآنى ومن لغته العربية ، فمن الواجب أن نلفت نظر سيادته إلى عبارته غير الأمينة ، التى يقول فيها : « إن مسألة اللغة لا تلعب عمليا أى دور فيما يتعلق بالأناجيل ، فالخطاب الذى كان يعظ به يسوع لا يتطلب اهتمام المفسر » الخ ..

ولا نعتقد أن واحدا فى مثل مكانة جاك بيرك ، الأستاذ الفخرى بالكوليج دى فرانس ، وأستاذ علم الاجتماع ، وأستاذ الاستشراق أو كبيرهم ، يجهل تاريخ بلاده وتاريخ مذهبه الدينى الذى يعتنقه إلى هذا الحد !! فالأزمة الصارخة المعروفة باسم « أزمة الحداثة » التى اندلعت فى مطلع القرن وهزت أركان الكنيسة الكاثوليكية حتى كادت تأتى عليها ، لولا تصدت لمحركيها بلجان محاكم التفتيش التى كانت سائدة حتى ذلك الوقت وتم تغيير اسمها - وبالحرمان من العقيدة ، وبرفع شعار « الأصولية » وكانت حركة الحداثة تعتمد أساسا ، ومن ضمن ما اعتمدت عليه ، على تحليل النصوص الإنجيلية وتطبيق العلوم الوضعية وعلوم اللغويات عليها إلى جانب اكتشافات العلوم الحديثة ، الأمر الذى أدى إلى تلك الأزمة الحالية التى يعانى منها الغرب ويحاول رأب تصدعاتها المنعكسة فى الأزمة الحضارية والأزمة العقائدية .. فكيف يمكن للسيد بيرك أن يقول إن اللغة لم تلعب دوراً فى الأناجيل فى حين أنها كانت من الأدوات الأساسية التى كشفت عمليات التلاعب على مر العصور بفضل اختلاف الأسلوب ؟!

ولا يتسع المجال هنا لتناول موضوع الحداثة والأصولية فى الغرب أو فى الكنيسة ، خاصة وأنه تختلف تماما عند استخدام هذه العبارات فى الإسلام ، لكنا ندعو السيد بيرك إلى قراءة أبحاث أولئك الآباء الذين تزعموا حركة

الحداثة لتخليص العقيدة من كل ما علق بها من تحريف ، ومنهم الآباء : الفريد لوازى ، وادوارد لروا ، وجوزيف تورميل ، وألبرت هوتين ، والأسقف دوشين ، وخاصة رودلف بولتمان – ذلك الأب الذى يصفون أعماله بأنها تمثل « الضربة القاضية » أو التى « أصبح من المحال تغافلها » .

ثم ينهى السيد بيرك موضوع استشهاده بالأناجيل ليضيف طعنة جديدة قائلا : « وهناك أناجيل نجمت عما يطلقون عليه logia ، وهو شئ أشبه ما يكون إجمالا بالحديث ، أى إنها أقوال تم تجميعها ، ولغتها هى أيضا تمثل مشكلة » .. أى إن لغة الحديث والسنة تمثل مشكلة أو إنها تثير من المشاكل ما يمس أو يضعف مصداقيتها ! .

ويعـود الى القرآن ليؤكـد ثـانية على أنه يخاطب عقل ومنطق الإنسان : فهو بيان وتفصيل ، وهو ضمير ومبين – مثلـه مثل مـا أطلق عليه أرسطـو « خطاب فلسفى يشع نوره » وهذه هى القاعدة اللغوية عند اليونان أو قاعدة المنطق اليونانى .. ثم يبادر بالقول : « وهنا نسجل دون استخراج أية استنتاجات ، ذلك اللقاء بين الهللينية القديمة وحكمة الاسلام » .. وهى نفس الفكرة التى طرحها فى مقدمته الشهيرة لترجمة معانى القرآن ، وإن كان حاول أن يصيغها بعبارات أكثر تنميقا أو يحاول التنصل منها مع تأكيدها ! .. مثلما تناول قضية القرآن مخلوق أو غير مخلوق وأن العقيدة هى التى رسخت فكرة عدم خلقه .. وقضية اللغة والشعر الجاهلى التى تناولها أيضا بنفس أسلوب الكر والفر وهنا يقول :

« إن خطاب القرآن أنزل بلغة يفهمها الناس فى ضواحى مكة وكانوا خاصة من آل قريش .. وأنه يتضمن عدة مستويات تصاعدية مليئة بالإشارات إلى المجال العملى وإلى الواقع ، إلا أنها شديدة التمايز عن ملمح الشعر الذى رغم وضوحه وإيحاءاته يموج فى هالة من التباعد والتخيّل . بينما القرآن – رغم قاعدته الواقعية المتداخلة مع المطالبة بالتصعيد ، يؤدى الى رد فعل جدلى أو إلى صدمة نفسية يمكنها أن تؤدى الى تغيير شامل » .

وبدلا من أن يبرهن على هذا التغيير الشامل بتزايد عدد الذين يدخلون الاسلام وبانتشاره ، رغم كافة محاولات التجريح التى كالها ويكيلها له الغرب، يضرب مثالا « بالقصة التى تحكى عمن أصبح الخليفة عمر » بنفس أسلوب الوخز الخفى – الواضح قائلا :

« ففى شبابه لم يكن ذلك الذى يطلق عليه الورع . وذات يوم ذهب صدفة ليطرق باب دار بها بعض الصحابة وكانوا يقرأون إحدى السور فاستمع الى بضعة آيات من خلف الباب .. وهذا الشخص الفظ الذى كانت أخلاقه حتى تلك اللحظة لها دفعاتها غير المثالية – وإن كانت تشوبها بعض قيم المغامرات لبلاد العرب القديمة ، تحول وإلى الأبد إلى ذلك المؤمن الصارم الذى نعرفه » !! .

وبغض الطرف عما فى صياغته من قحة فى تناول سيرة من فى مثل مكانة سيدنا عمر ، وما بها من تلميح بعدم معقوليتها فى سرعة إيمانه فلا نملك إلا أن نقول يكفيه ويكفينا فخرا أن التاريخ لم يمسه بكلمة سوء .. لكن ، ترى ما قوله فى واقعة لا أقول شبيهة لكن الباحثين والعلماء لم يكفوا عن فضحها وهى : إيمان بولس الرسول ، الذى كان يناصب المسيحية العداء ويشى بالمسيحيين ليتم القبض عليهم ، بل هناك من المراجع الحديثة مثال كتاب : « بولس مشعل الحريق » ما تجزم بأنه كان حاضراً أثناء « محاكمة يسوع » وأنه شارك فى إدانته ! و هذا اليهودى الذى يقول عنه العديد من المتعمقين فى ذلك التاريخ أنه اعتنق المسيحية ليحيد بها عن مسارها وعن رسالة التوحيد التى بشر بها عيسى بن مريم – وهو ما حدث فعلا ، يقال إنه آمن وهو فى الطريق الى دمشق ليقوم بإحدى مهامه التقليدية البوليسية .. وصارت عبارة « الطريق الى دمشق » مثلا فى اللغة الفرنسية تعبيرا عن لحظة العثور على الاهتداء أو التوبة ! .

وقبل الانتهاء من فقرة أسلوب الأناجيل يقوم جاك بيرك بتقديم افتراض « لم يسبقه إليه أحد » لكى يقوم المختصون بدراسته وهو : أن الوصايا العشر التى نزلت على موسى قد كتبت بالهيروغليفية ! .

وهنا لا يسعنا إلا أن نأسف لإحباط اكتشاف سيادته وأنه لم يكن سباقا

فى هـذا « الحلم والتصور » ، وإنما هناك من تناولوه بالبحث فى الشرق والغرب ، ومنهم الباحث حجازى السقا وكتابه المعنون : « التوراة الهيروغليفية » وهو صادر عن دار الأنصار ، كما سبقه العالم سيجموند فرويد إذ أشار إلى نفس هذه النقطة فى كتابه المعنون : « موسى والتوحيد »، ومن بعده تناولها عالم المصريات چيمس هنرى برستد فى كتابه الشهير « فجر الضمير » ..

ويعود للغة القرآن قائلا : « إذن ، على الرغم من القوة التى أبرزناها للتو ، فإن القرآن فى لسان قوم قريش ، وهو أيضا لغة قريبة لغويا من لغة شعراء العرب قبل وبعد قريش فلا يمكن التغاضى عن هذا التشابه الأخير . ولا شك فى أن هذا التشابه كان من القوة حتى أن النبى اضطر الى الدفاع عن نفسه بأنه ليس بشاعر أو ساحر » ..

ثم ينتقل الى سورة البقرة والآيات من ١٧ الى ٢١ ليستعرض وصف العاصفة مؤكدا ان نفس هذا الوصف وارد فى معلقات امرؤ القيس والأعشى ميمون .. وأن القرآن نفسه اضطر إلى نفى هذا التشابه غير أن العرب كانوا يؤمنون بالشعر مثل إيمانهم بالقرآن ، مستشهدا بالوليد بن مغيرة حينما عبر عن إعجابه عند سماعه إحدى السور فصاح قائلا ما معناه تقريبا : « لا يوجد بينكم أى شخص أفصح منى فى الشعر ولا فى الرجـز ولا فى القصيدة ، لا فى الإنس ولا فى الجـن ، ولا أجـد أى شئ من ذلك فيمـا تقول . إن ما تتلوه يا محمـد به نعومة وبريق ولمعان . إنه يثمر مـن اعلى (إن أعـلاه لمثمر) إنه مروى من أسفل (وإن أسفله لمغدق) إنه يصعد إلى أعلى كالنخيل ويسحق كل ما هو أسفل » .. ويضيف بيرك إن التعبير عن الإعجاب بلغة زراعة الواحـات هو وصف جيـد لإنعكاسات السجع القرآنى ثم يحـدد قائلا : « ولا يمكننا أن نحسم أسباب هذه الانعكاسات إلا إذا تمت بعض الدراسات المتخصصة بـدأ من علم الدلالة الى علم الأصوات لتبرز المقاطع التى لها مغزاهـا » .. والمغـزى الـذى يسعى إلى إثباته طـولا وعـرضا هو ارتبـاط القرآن بمنطقة معينة وبحقبة زمانية معينة وبالتالى عدم صلاحيته لكل زمان ومكان – وذلك بخلاف إنه نوع من أنواع الشعر الجاهلى ..

ومن أكثر الفقرات دلالة على مستوى بحثه العلمى واستنتاجاته الأمينة

التى يقدمها مثالا يجب أن يحتذى به ، ما يقوله عن التباكى فى الشعر الجاهلى على الأماكن المهجورة وخاصة التباكى على الحبيبة ، وهو ما يطالعه فى معلقة امرؤ القيس الكبرى ... « وتمتد الصحراء على مدى البصر ، و يتضاعف الفراغ مما تنجم عنه صدمة نفى مزدوجة تمثل كل قوة القصيدة . وهذا النفى المزدوج سينتقل فى القرآن فى عبارة التوحيد الدينية : لا إله إلا الله .. مما نجم عنه نظرية إعجاز القرآن » !!

« وهذه النظرية لم تتولد وحدها فمثلها مثل بقية النظريات الشبيهة قد احتاجت الى وقت حتى تستقر . وقد كان لها هادميها ولم يتم التعبير عنها تماما إلا فى منتصف القرن الثالث الهجرى ، ولم تأخذ شكلها النهائى إلا فى القرن الرابع الهجرى أو فى أواخر القرن التاسع او العاشر الميلادى وهذه النظرية تواكب نظرية عدم خلق القرآن التى – وفقا لها – القرآن لم يخلق وبالتالى فهو ليس موضوع تاريخى وإنما لا بدايه له وهو خالد على عكس الطبيعة . وقد كان لهذه النظرية مهاجميها الذين أدانوا عدم التجانس الواضح فى النص القرآنى بحرية رأى تدهشنا اليوم ... فقد كانوا يتناولون فحوى الخطاب ، من المجال الخالد الى المجال الزمانى ، وهوما لم أتعرض له إلا بصورة مقتضبة »...

« وأيا كان الأمر فإن مفهوم الإعجاز هو الذى ساد فى العقيدة بفضل الباقلانى الذى ذكرته آنفا ، أو بفضل الرازى الذى كان يستشهد بعبارات الإعجاب التى كان المعاصرون لتنزيل القرآن يتغنون بها ... ومن التناقض بمكان أن ننكر أن هذا النص الذى نزل على مدى عشرين عاما ، على أجزاء وبغير ترتيب ، ثم تم تجميعه بعد عشرين عاما ، قد فرض نفسه بالصورة التى هو عليها إن لم يكن به مميزات منفردة ... إن هذه اللغة قد شغلت معظم علماء البلاغة والنحو الذين لم يكفوا عن الإعجاب بها ولا عن محاولة معرفة أسباب إعجابهم ، لكن عبثا ... فهذه اللغة الشديدة العربية ، والعربية بالاختيار الإلهى ، وفقا للمؤمنين ، تتضمن أيضا خمسين لهجة مختلفة (لهجات القبائل المختلفة بخلاف خطاب قريش الذى زادت نسبته بالتجميع الذى تم أيام عثمان) . فإننا لا نجد عبارات من قبائل عربية أخرى ولكن من لغات

مجاورة أيضا مثال اللغة المصرية الديموطيقية ، والفارسية ، والجيز ، بل وحتى اليونـانية » . ولغـة الجيز guez هذه هى اللغة الكهنوتية لكنيسة أثيوبيا القبطية وتعد مشتقة أو محرفة من لغة عرب جنوب اليمن فى باب المندب (Enc. univ. vol. 6 p. 667) .. ولم نكن نعلم ان قرآننا به كل هذا الخلط اللغوى .. أفادكم الله يا سيد بيرك ..ثم يواصل قائلا « كما أن القرآن شحيح جدا فى عبارات الغيب أكثر من الشعر العربى حتى إن معاصريه كانوا يضطرون الى اللجوء لمن يشرح لهم . ويقول التراث إنهم عادة ما كانوا يلجأون الى التفاسير المسندة الى بن العباس ، عم النبى . إلا أن ذلك لا يضر بالسياق العام من حيث البساطة والوضوح الذى يسود فى الكتاب ... وذلك يرجع الى ما سبق الإشارة إليه وما يطلقون عليه الإعجاز . ولا نجد مثل هذا التضاد إلا نادرا عند أفضل الكتّاب ، ولا حتى عند أكبر شعراء هذه اللغة . وما أكثر عددهم أيام النبى وقد كان محمدا مشبعاً بالشعر مثل كافة مواطنيه إلا أنه كان يجيد التفرقة بين هذا وذاك ، بين أعمالهم والقرآن ، بما أنه كان يتحدى المحيطين به أن يأتوا « بعشرة آيات مماثلة » إن سيادة النص الذى كان يدلى به كانت بإدراك واعى منه ، ومع ذلك فقد كان يعرف قس بن سعيده ، ذلك الحكيم الذى كان يبجله . وكان يرى فى قيس بن عاصم مؤلف المواعظ « سيد أهل الوبر » . ولربما التقى بالأعشى الرحاله ، ودريد المقدام ، وأميّه بن أبى صلّت الغريب والغضوب . ولربما أعجب بعنترة الرومانسى . وقد كان يستعين بحسّان بن ثابت كداعية وكان يقدره . ولعله إلتقى وأحب لبيـد إلا أنه كان مـدركا ، وكانوا جميعا مدركين أن وسط أغـانى كل هؤلاء الشعراء المنشدين يرتفع نشيـدا أكثر قوة وأكثر صفـاء » [هو القرآن !!] .

وأترك للقارئ أن يخرج بكل ما يشاء من هذا الوصف اللغوى العلمى النزيه - كما قال صاحبه .

ويبدأ الخاتمة بالفقرة التالية :

« مئات الملايين من البشر يدينون اليوم بالإسلام ، الديانة التى عمرها أربعة عشر قرنا . إن مثل هذا الانتشار ومثل هذا التوسع التاريخى يتضمنان شئ من التنويع فى تفسير العقائد وخاصة فى العبادات ... والأمر متعلق بكلٍ

جد حيوى ، وَحْدَوى ومتناثر ، يتنازعه الارتباط بالأصول والاحساس بالتفرد ، والرغبة المتزايدة للتأقلم مع المسيرة العامة للعالم المحيط .

« وثيقة واحدة ، دونما خطأ فى الطبيعة والمناخ ولا فى النسب يمكنها أن تكون بمثابة قاسم مشترك أعظم فى هذا الواقع الذى يسود الكوكب . إنه القرآن الذى حاولت الصفحات السابقة أن تمسك به . وهوالكتاب المؤسس ، وعمود من الكلم المتصاعد من أعماق العصور ، وسجل نابض الصور ، والأخلاق ، والأداب ، وفوق كل شئ فهو فى نظر المؤمنين تنزيل روحى ، وقد مثّل وما زال يمثل لمجمل المسلمين فى كل زمان وكل البلدان إدراك عينى مرتبط بالهوية الجماعية » .

وبعد هذا التقديم التعريفى بالقرآن يواصل المؤلف قائلا :

« على الرغم من أن الملاحظات الواردة فى هذه الصفحات صادرة عن شخص غير مسلم وعلمانى ،فقد صيغت بلا مجاملة وسوف تضفى لإيمان المؤمنين الجزء اللازم لكى يقتربوا من النص . وكان على الموضوعية أن تراعى هذا الإيمان تفاديا للخطأ . وهذه الموضوعية كانت ضمانا ضد أخطاء أو تعسف المفسرين ..

« وهكذا ، فإن ما نطلق عليه النص القرآنى الحالى لا يتضمن بالمقارنة بالنصوص المثيلة له إلا بعض التنويعات النادرة والجزئية . والإسلام يصدقه بالإجماع وبشهادة لم تدينها عشرات الطوائف التى تنازعت شرعيته طِوال القرون ، ومثل هذه الملاحظة قد تحبط من يحاول انتقادها . إلا أنه قد وجد بعض النقاد شديدى سلاطة اللسان ، والمتأثرين بنماذج ثقافية أخرى قد أقروا بأن صياغة تكوين النص القرآنى قد تمت بعد قرن أو قرنين ، بل ولا يرون فى التراث المذكور سوى مباحث لاحقة » .

وعلى الرغم من انتقاده أو استنكاره لما تقدم ، وإن كان فى صياغة نص مُجهّل ، لا نتساءل حتى لماذا أورد ما لا يقره إن لم يكن للتجريح بأسماء الاخرين ، فها هو يسارع بآخر ما فى جعبته ليضرب القرآن مستندا إلى القرآن وباسمه قائلا :

« إذا ما كان هناك بالفعل ملمحاً قد أدهشنا فى الرسالة القرآنية فهو الانفتاح الذى يقوم به على العالم باسم أصالة مستمدة من العالم الغيبى ، وبما أنه صالح – بتعريفه – لكل مكان ، وكل الأجناس ، وكل العصور ، فهو يبدو فى نظرنا – من هذا المنطلق – انه يستبعد الجمود فى التفسير والتطبيق . وليس الجمود الذى يتهدد ممارسة أية سلطة ، ولكن ذلك الجمود الذى يتمسك بتكرار أحكام قضائية الى ما لا نهاية ، وهو تكرار جاهز للتحول الى تقديس الجمود السابق مما استوجب هذا القول المأثور ضمن كثير غيره : ﴿ **فقد مضت سنة الأولين** ﴾ (الانفال ٣٨) ..

وبعد توضيح كيف أن سلطة الأجداد هذه مشروطة بصفتهم ومحدودة باحتمال خطأهم ، يستشهد بالآيتين ٥٣ ، ٥٤ من سورة الأنبياء تأكيدا لدعـوته : ﴿ **قـالوا وجـدنا آباءنا لها عابدين . قـال لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين** ﴾ . وهنا أيضا نراه يقوم بنفس ما سبق له واقترفه بكل أمانة ونزاهة ، حينما أورد عبارة « لكل كتاب أجل » على أن أبا بكر هو قائلها ، وإن كان فى هذه المحاضرات قد أورد بقية العبارة القائلة بأن هذا الأجل من لحظة التنزيل إلى يوم القيامة ، ها هو مرة أخرى يقوم بفصل آيات تحريم عبادة الأصنام ليقول لنا على لسان القرآن وبآياته إنه يدعونا أو يطالبنا بعدم اتباع سنه الأولين بألا نقع فى نفس خطـأهم المبين بالثبـات على القرآن وتشريعه ، وإنمـا علينا بالتبديل والتغيير والتخريب حتى يتمشى القرآن مع العصر وفقا لهدى السيد بيرك ..

ثم يختتم هذه المحاضرات العلمية الأمينة الموضوعية قائلا :

« علينا أيضا أن نراعى مجرى الأشياء وتطورها على مراحل ، ونراعى مستقبلها . إذن ، كيف يمكن الفصل بين الأصالة ، التى تسمح برسو أفعال البشر ، وبين الزمان الذى تتم فيه هذه الافعال ؟ يجب أن يرجع التحكيم الى العقل الذى استند اليه القرآن عدة مرات وبأوضح ما يمكن » ..

وتأتى الفقرة الأخيرة لتتوج كل ما تقدم إذ يقول :

« يمكن بالطبع الخروج بقراءات أخرى لهذا الكتاب الذى لا يكشف عن سره . إلا أن هذه القراءة يمكنها أن تكون أفضلها فى مساندة مسلمى

عصرنا فى البحث عن ذاتهم من خلال العالم الذى يصنع نفسه » ..

وبعد هذا العرض الموجز لبعض المحاور الواردة فى تلك المحاضرات التى ألقاها چاك بيرك فى « معهد العالم العربى » ، وتم نشرها فى الكتاب موضوع هذا البحث ، لابد من الإشارة إلى مقدمة ذلك الكتاب ، وهى بقلم المدعو محمد بن بنونة ، مدير المعهد المذكور .. وقد بدأها قائلا :

« إن طباعة الدروس التى قدمها چاك بيرك فى « معهد العالم العربى » ستسمح للقارئ الذى لم تتح له مزية الاستماع إليه أن يجد هنا إيقاعات تلك السمفونية الرائعة حول النص المؤسس للحضارة الإسلامية ، وهى سمفونية مكونة من معرفة محبه ، وتبحّر تم التعبير عنه فى وضوح منير وانطلاقات ساطعة تفتح آفاقا لا نهائية لإمكانية التنقيب والتقارب والحوار مع ثقافة ما هو إنسانى » ! .

ثم يستطرد قائلا : « وليس من قبيل المصادفة أن يتناول [چاك بيرك] التأمل حول الكتاب المقدس (le livre sacré) الا بعد حياة مليئة بالبحث والتنقيب عمقا فى ذلك العالم العربى الذى أدرك وحدته وتنوعه وتعقيداته ، ممارسا لغته ولهجاتها ، وحياته اليومية وحركاته الفكرية الكبرى والاستفهامات التى لا حصر لها حول التراث والحداثة » .. ثم يقوم بتشبيهه بابن خلدون ومقدمته !! .

وإذا مـا كان السيد مدير « معهد العالم العربى » لم ير فى كل ما كتبه چـاك بيرك من فريـات وتحريف وحـث علـى التخريب للقرآن والشريعـة إلا « سمفونية رائعة » فلا نملك إلا أن نقول له : عار عليك يا من تحمل اسم النبى عليه صلوات الله ، عار عليك يا محمد يا بن بنونة أن تساهم فى تلك الحملة المسعورة للنيل من « النص المؤسس للحضارة الاسلامية » والذى إن لم تكن تعلم فاسمه « القرآن » .. عار عليك أن تصف كل ما تتضمنه هذه المحاضرات من تجريح للقرآن ورفض للشريعة ، واستهزاء بالنبوة وسيد المرسلين وخاتم رسالتهم ، وكل ما بها من استهزاء بالمسلمين والعرب الذين أنت منهم على الأقل اسما، أن تصف كل هذا وغيره كثير ، لم أشر إليه ، بأنها «سمفونية مكونة من معرفة محبة وتبحّر تم التعبير عنه فى وضوح منير

وانطلاقات ساطعة » !!

إن ما تفتحه هذه الانطلاقات من « آفاق لا نهائية » هو ما يطالب به التيار المتعصب فى الغرب حاليا للاطاحة بالإسلام والمسلمين وهو ما سبق للمدعو چان كلود بارو ان أعلن عنه بصريح العبارة فى كتابه عن « الإسلام والعصر الحديث » قائلا : « لا بد من إعادة صياغة القرآن والسنة بمفاهيم العصرية والحداثة وإلا على الإسلام أن يختفى » !! ويختتم كتابه هذا قائلا : ولا شك فى أن العصرية والحداثة هى التى ستنتصر !! .

كما لا يفوتنا ان نلفت نظر السيد مدير « معهد العالم العربى » إلى أن هناك من الكلمات ما ارتبط شكلها بمضمونها بلا انفصام حتى بات الاسم دليلا لذلك المضمون حتى وإن احتمل غيره من الإشارات . واستخدام لعبارة le livre sacré إشارة الى القرآن ، تعنى بالعربية « الكتاب المقدس »، وهذا المسمى يطلق على الإنجيل بعهديه بل لقد أصبحت هذه العبارة لا تشير إلى أى كتاب آخر إلا إذا وضعت جدلا بعدها صفة أخرى مميزة دالة على المعنى المقصود.. وما أغناك عن السقوط فى مثل هذه الأخطاء التى لا تمس ، فى نهاية المطاف ، سوى اسمك ومركزك .. بل ما أغناك عن ترديد عبارات چاك بيرك بكل ما بها من فحيح ..

أما تشبيهك ما اقترفه چاك بيرك فى هذه المحاضرات التى حاول بها الهدم وليس البناء ، بابن خلدون ومقدمته ، التى تعد من معالم التراث الإسلامى والعربى ، فاللهم لا تعليق ، لكى لا يزل اللسان ..

***

وقبل أن ننتقل إلي آخر ما ابتدعه السيد چاك بيرك – عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، والأستاذ الفخرى فى الكوليج دى فرانس ، عالم الاجتماع والمستشرق – فى حربه المنبتة ضد القرآن والسنة ، نود الإشارة إلى بعض ما ورد من أخطاء فى ترجمة الآيات التى استشهد بها فى هذه المحاضرات :

* سورة الاخلاص – صفحة ٢١ ، ترجمها قائلا :

Dis : Il est Dieu , il est un ,Dieu de plénitude , qui n'engendre ni

fut engendré ,et de qui n"est l'égal pas un.

وتعنى ترجمته : قل : إنه الله ، إنه واحد ، إله الاكتمال ، الذى لا يلد ولم يولد ، والذى هو ليس مساويا له أى أحد .

* سورة يوسف – صفحة ٣٤ ترجم جزء الآية ٥١ الذى يقول :

﴿ قلن حاش لله﴾ (الآية) ترجمها الى : Révérence à Dieu, dirent - elles

وتعنى ترجمته : إنحناءة لله ، قلن !!

وفى نفس الآية عبارة : ﴿ قالت امرأة العزيز ﴾ ترجمها إلى :

La Femme de L'Excellence dit !

وتعنى ترجمته : وأمرأة صاحب السعادة قالت !!

وفى نفس الآية ﴿ حصحص الحق ﴾ ترجمها الى:

La vétité s'installe

بما معناه : الحقيقة تستقر !

* سورة آل عمران : ﴿ ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ﴾ الآية ١٢٤

ترجمها قائلا : Ne vous suffirait - il pas que Dieu notre seigneur vous grossisse d'une descente de trois mille anges?

ويعنى ترجمته : ألـن يكفيكم أن اللـه سيدنا سيسمنكم (مـن السمنة فى الوزن) بنزول ثلاثة آلاف ملاك ؟!

وفى الآية ١٢٥ ﴿ ... يمـددكم ربكم بخمسة آلاف مـن الملائكة مسوّمين ﴾ (الآية) ترجمها قائلا :

votre Seigneur vous grossira de cinq mille anges porteurs d'oriflammes .

وتعنى ترجمته: ربكم سيسمنكم بخمسة آلاف ملاك من حاملى رايات الحرب

وفى الآية ١٢٦ : ﴿ **وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم** ﴾ (الآية) ترجمها قائلا : le secours ne peut venir que deDieu Tout-puissant et sage.

وتعنى ترجمته: إن النجدة لا يمكنها أن تأتى إلا من الله القدير والحكيم .

وفى الآية ١٢٧ : ﴿ **ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين** ﴾ ترجمها :

et pour rogner la pointe des dénégateurs , ou les atterrer, et qu' ils s'en retournent déconfits .

وتعنى ترجمته : ولكى يقرض طرف [أو حرف] المنكرين أو يلقيهم أرضا وأن يعودوا مغلوبين .

* وعنوان سورة البروج ترجمه بكلمة القصور : les chateaux . ثم وضع هامشا يقول فيه ربما كان المقصود بها أبراج الفلك وهو ما قد يشير إلى دورة إلهية .

* وفى سورة النساء : ﴿ **إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله** ﴾ (الآية ١٠٥) ترجمها :

C'est Nous qui avons les fait descendre sur toi L' Ecrit porteur du vrai pour que tu juges entre lis hommes selon les vues que Dieu t'inspirera

وتعنى ترجمته : إننا نحن الذين نزلنا عليك المكتوب حامل الحق لكى تحكم بين الناس وفقا لوجهات النظر التى سيلهمك الله ..

* سورة يوسف الآية ٢ : ﴿ **إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون** ﴾ ترجمها قائلا :

Nous l'avons fait descendre en tant que Coran arabe , de sorte que,peut- être, vous y réfléchissiez .

وتعنى ترجمته : إننا نزلناه على انه قرآن عربى بحيث إنه ربما تفكرون فيه !

* وفى سورة فصّلت : ﴿ كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون ﴾ (٣) ترجمها قائلا :

un écrit dont les versets ont été articulés en tant que coran arabe , pour un peuple qui comprendrait, qui saurait, qui réfléchirait .

وتعنى ترجمته : مكتوب ثم تفصيل آياته على انه قرآن عربى ، لشعب سيفهم ، سيعرف ، وسيفكر !

* سورة البقرة الآيات ١٧ – ٢٠ تناولناها فى الجزء السابق صفحات ٣١ – ٣٣ .

* سورة العاديات : ترجم العنوان : galoper أى عدو الخيل .

والآية ١ : ﴿ العاديات ضبحا ﴾ ترجمها :

S'étrangler au vent du galop

وتعنى ترجمته : الاختناق ذاتيا فى ريح العدو !

* سورة الذاريات : ترجم العنوان vanner اى « ذرى الحَبْ » !

والآيات ١ – ٤ : ﴿ والذريات ذروا . فالحاملات وقرا ، فالجاريات يسرا فالمقسمات أمرا ﴾ ترجمها قائلا :

vanner vannage emporter une charge . légèrement courir . un décret répartir .

وتعنى ترجمته : ذرى الحَبْ تذرية . رفع حِمْلْ . الجرى بخفة . توزيع مرسوما .

واللهم لا تعليق !!

*****

أسلوب چاك بيرك ..

أما عن أسلوب چاك بيرك فى هذه المحاضرات فهو يحمل نفس السمات الكاشفة لموقفه السابق المستمر ، ولن نتناوله هنا إلا من خلال عبارتين أساسيتين : التنزيل ، والقرآن .

ففى ترجمته لمعانى القرآن وفى المقدمة الطويلة المصاحبة له ، كما فى هذه المحاضرات ، يصر چاك بيرك على استخدام عبارة نزول بالفرنسية بمعنى نزول السلالم مثلا ، بل تصل به المغالطة الى درجة الإصرار على ذلك متذرعا بنص القرآن نفسه ، قائلا فى صفحة ٢٢ من كتابه الأخير الذى يضم المحاضرات : إن القرآن قد استخدم عبارة إنزال وتنزيل inzal , tanzîl ، لذلك كتبها نزول descente من فعل ينزل descendre ! وهنا لابد من توضيح ملاحظتين لهذا الباحث العلمانى كما يقول عن نفسه :

أولا : لو أنه كلف خاطره وفتح « المعجم الوسيط » الصادر عن مجمع اللغة العربية الذى هو عضو به بل ويتلفع بهذه العضوية ليبث أغراضه العلمانية السياسية المغزى ، لو أنه فقط فتح هذا المعجم فى صفحة ٩٥١ من الجزء الثانى لقرأ عند كلمة نزل ما يلى :

(نزل) – نزولا : هبط من علو إلى أسفل ، ويقال نزل فلان عن الأمر والحق : تركه و – بالمكان ، وفيه : حلّ . و – على القوم : حلّ ضيفا . ويقال : نزل به مكروه : أصابه . و – الحاج : أتوا مِنى . و – على إرادة زميله : وافقه فى الرأى . و – فلان نزالة : سافر .

ومن كل هذه الاستخدامات يدرك القارئ غير المغرض ان نفس العبارة يختلف معناها وفقا للمضمون الذى تقع فيه .وإذا ما قرأ السيد بيرك الفقرة التالية لوجد : (أنزل) الشئ : جعله ينزل . ويقال : أنزل الله كلامه على أنبيائه : أوحى به .

وهنا كان على الباحث الأمين والذى يتناول بحثه القرآن ، أى كلام الله الذى أوحى به الى سيد المرسلين وخاتمهم ، أن يختار هذا المعنى ، وله ما يقابله فى الفرنسية وهى كلمة Révélation وليس كلمه نزول بمعنى

نزول السلالم !!.

وهذه الملاحظة تعد من أبجديات دروس الترجمة وهى أن اختيار العبارات المقابلة يتم وفقا للمعنى وليست العملية مجرد وضع اللفظ المرادف أيا كان معناه . وهو ما اتبعه السيد عضو مجمع اللغة العربية طوال ترجمته لمعانى القرآن تقريبا ، تحت زعم الترخيم حينا أو نقل الايقاع حيناً آخر .. وهو ما يكشف عن مستوى هذه الترجمة برمتها !

ثانيا : أما الملاحظة الثانية فتتعلق بكلمة « القرآن » . ومن أبجديات الترجمة أيضا استخدام اللفظ الواحد للعباره الواحدة لعدم تشتيت ذهن القارئ . وكلمة « القرآن » جرى العرف الغربى على كتابتها Coran – ولسنا هنا بصدد مناقشة صحة هذه الكتابة أم لا ، لكنا نتحدث عن ترجمة چاك بيرك الذى راح يتلاعب على التنويعات اللغوية التالية بدلا من الثبات على كلمة Coran فقال عنه حينا le recueil أى ديوان الشعر ، و le volume أى المجلد ، و le texte أى النص ، و dans l'édition أى فى الطبعة – وكأن القرآن يختلف من طبعة إلى أخرى .. وأحيانا يستخدم مجرد عبارة le livre بحرف اللام الصغير أى الكتاب العادى وليس الكتاب المنزّل وهنا كان لزاما عليه أن يضع حرف اللام الكبير Le Livre مثلما كتبها أحيانا ..

وكلها تنويعات لاتكشف حتى عن براعة لغوية كما يحاول إيهام المستمع أو القارئ ، وإنما تكشف عن موقفه المغرض واستهزائه المتواصل ومحاولاته الدائبة للتشكيك والتجريح إلى جانب محاولة فرض أن القرآن المنزّل يتضمن ما بنص الأناجيل من مآخذ - وهذه وحدها تعد من أحدث ما يحاول تيار التعصب الغربى دسه على القرآن والإسلام فى هذه الأيام .كأن نطالع فى موسوعة الثقافة العامة ميكرو – روبير ، فى جدول الثبت الزمانى أمام سنة ٩٣٥ ميلادية عبارة : « نهاية صياغة القرآن » ! وكأن صياغته قد امتدت الى قرابة ثلاثة قرون ونصف ! أو أن نطالع فى كتاب أوليفييه كاريه مـدير معهد الأبحاث السياسية بباريس ، فـى كتابه الأخير « الإسلام العلمانى » الصادر عام ١٩٩٣ : « أن القرآن لايعترض على التثليث ولا على التجسد [أى تجسد الله عز وجل فى عيسى بن مريم] وإنما يعترض على

المبالغة المسيحية » !

ولو أن هذا المؤلف قد فتح القرآن لوجد العديد من الآيات الصريحة التى تنص بوضوح قاطع قائلة ﴿ **كفر الذين قالوا ثلاثة** ﴾ (الآية) ، وما أكثر عدد الآيات التى تحرّم التثليث وتحرّم الشرك بالله سبحانه وتعالى ، والتى لعرف منها أن هاتين النقطتين تمثلان أهم خلاف بين المسيحية والإسلام إلى جانب عملية صلب وقتل السيد المسيح .. لكنه التعصب الأعمى وآلياته المغرضة الحديثة ، تلك الآليات العلمانية التى يتعين على الأجهزة المختصة والمسئولة عن حماية الإسلام والقرآن أن تتصدى لها .

وهنا لا يسعنا إلا أن نضيف : ﴿ **ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون** ﴾ (آل عمران ٦٩) ..

*****

اما آخر ما قام به چاك بيرك فى مجال التعريف بالقرآن والإسلام لمسلمى فرنسا والعالم الاسلامى والعربى ، فهو تقديم هذه المحاضرات فى أحاديث إذاعية بمحطة مونت كارلو فى شهر مارس الماضى ، نلخص فيما يلى أهم ما تضمنته الحلقة المذاعة بعد ظهر يوم الاثنين الموافق ٨ / ٣ / ٩٤ فى الساعة السادسة وخمس دقائق :

* إنه يدعو إلى إسلام تقدمى أى إلى إسلام علمانى كما فسرها بذلك .

* يجب التفرقة بين نواميس الروح والحياة المادية وفسرها بفصل الدين عن الحياة .

* القرآن فقط هو الأساس الوحيد الذى نستند إليه مع إنكار السُنة .

* خطـر الإسلام هو الجمـود وهديتـه هى العقـل وقـد ذكـر فى القرآن ٤٤ مرة .

* إننى من المفسرين التنويريين ، أى إننى أنتمى إلى فرع المستنيرين فى التفسير .

* ليس هناك تناقض بين العلمانية والإيمان ولكنها تفصل بين الروحانيات والزمانيات

* أهـم مشكلة فى العالم العربى هى مشكلة المرأة ، وهى من أعظم المشكلات ، بل هى أهم من مشكلة الدولة . وعلينا تغييرها .

وكلها نقاط تؤكد موقفه الذى كشفناه من ترجمته لمعانى القرآن ، إذ إنها تدور حول محور أساسي واحد هو تحريف الإسلام ، وذلك : بفصل الدين عن الدنيا ، وإلغائه السنة ، وإلغائه لدور الأئمة الفقهاء ومطالبته بضرورة التمشى مع علماء العصر العلمانيين ، واعتبار ثبات نص القرآن وعدم تحريفه جموداً ، ومطالبته باستخدام العقل لتحويره ، والإشادة بالعلمانية التى تفصل الدين عن الحياة واعتباره ذلك لا يمس العقيدة ، واعتباره المرأة المسلمة من أعظم المشكلات وأهمها ؛ لذلك يركز على ضرورة الانحراف بها عن المسار

الإسلامى على النمط الأوروبى .

الأمر الذى يكشف إصراره على عملية تخريب الإسلام دينيا ، بتحريف القرآن وإلغائه السنة ، وتخريبه اجتماعيا ، بفرض العلمانية والعمل على إفساد المرأة المسلمة التى تمثل إحدى الركائز الأساسية فى المجتمع نظرا لدورها المتعدد الجوانب كأم وكمواطنة فى الدولة .

*****

خطاب إلى چاك بيرك ..

تحية واجبة وبعد ،

من المؤسف حقا أن نطالع انك أمضيت ثمانية عشر عاما تقريبا من عمـرك العلمى فى محـاولة عديمة البصـر والبصيرة للنيل من القرآن والإسلام .. ومن المؤسف أن تتوج حياتك العلمية بمثل هذه السقطة العملاقة ، التى لم تمس فى واقع الأمر سوى مكانتك وخاصة بين من كانوا يعتبرونك صديقا لهم ولقضايا الحق ..

والأكثر أسفا أن تأتى هذه السقطة العملاقة مواكبة لتيار التعصب الغربى ومساهمة منك فى تلك الحملة الصليبية التى تدور رحاها منذ عام ١٩٦٥ ، حينما أعلن المجمع المسكونى الفاتيكـانى الثـانى « توصيل الإنجيل لكافة البشر » ..تلك العبارة المضغمة التى لم يدرك أبعادها الكثيرون ، ثم فجرها البابا يوحنا بولس الثانى عام ١٩٨٢ حينما أعلن ضرورة « إعادة تنصير العالم » ، مستعينا بكافة المسيحيين « من أكبر أسقف الى آخر علمانى بموجب حصـوله على التعميد فى الصغر » (راجع خطاب « روعة الحقيقة » وخطبه السابقة) ..

فمن الواضح أنك لم تع درس التاريخ ،ولم تنظر حتى إلى تلك المسافة الزمانية التى تقول إن الإنسان بحاجة إليها ليدرك الأمور بشكل أفضل ! ترى ماذا لو نظرت إلى التاريخ – بعين موضوعية أمينه غير مغرضة– وإلى عشرين قرنا هى عمر المسيحية ، لترى ما أصابها بعد تحريف مصادرها على أيدى بولس الذى حاد بها عن التوحيد ، وكل ما ألم بالمؤسسة الكنسية حاليا من تصـدعات تدفع بأهلها بعيدا عنها وتدفع بالمتحكمين فيها الى اقتلاع الإسلام ..

ماذا لو نظرت إلى أربعة عشر قرنا هى عمر الإسلام ، لترى ثبات قرآنه وانتشاره كديانة توحيدية منزّلة ، لم تمس ولم تحرّف ، فهى خاتمة الرسالة التوحيدية . ماذا لو نظرت الى ذلك الانتشار الذى هالك أن تقول إنه بلغ عدة مئات من الملايين ، وهنا إضافة لابد منها : رغم كل ما كاله تيار التعصب

الكنسى من محاولات هدم منذ القرن السابع الميلادى - أى منذ ظهور الإسلام وبداية انتشاره - حتى يومنا هذا.. بل لقد زادت عنفا وشراسة فى هذا العقد الذى تم تحديده كنهاية للإسلام ..

ألم يكن أكرم بمكانتك العلمية أن تمضى ثمانية عشر يوماً - ولا أقول عاما ، فى محاولة صادقة لفهم القرآن وفهم تلك البساطة الواضحة التى لا يمكن تبسيطها إلى أكثر مما قاله سيدنا محمد عليه صلوات الله ، حينما سئل : ما هو الإسلام ؟ فقال : قل « لا إله الا الله ، ثم استقم » .. ذلك هو الإسلام الراسخ ، الثابت ، يا سيد بيرك : التوحيد بالله والاستقامة فى الحياة .. والحياة هنا بشقيها : الدنيوى والأخروى : ففى الإسلام لا انفصام بينهما ..

وختاما لا يسعنى إلا أن أضيف قول الله تعالى :

﴿ يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون ، يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون ﴾ .

*****

سؤال

إلى الذين بيدهم تصويب الأمر بالحق :

بعد كل ما استخرجناه من محاور هدم ، وكل ما قدمناه من نماذج لنوعية الترجمة ومستواها ، وكل ما أثبتناه من سوء نية مبيتة لتحريف القرآن وضرب الإسلام فى دعامته الأساسية المنزّلة الراسخة التى يلتف حولها المسلمون ، وكل ما عرضناه من أمثلة للنيل من مكانة وشخص سيدنا محمد عليه صلوات الله ، والنيل من كرامة المسلمين والعرب ، أما زلتم تترددون فى رفض هذه الترجمة وفى إسقاط عضوية صاحبها من مجمع اللغة العربية بالقاهرة ؟!

اللهم لا تعليق

سوى حسبى الله ونعم الوكيل .. حسبى الله ونعم الوكيل .

زينب عبد العزيز

*****

رقم الإيداع ٢٩٠٤ / ٩٤

I. S. B. N.977 - 5502 - 08 - X

الجمع التصويرى
وكالة مصر لخدمات الناشرين
٩ ش ٨٦ ثكنات المعادى
تليفون / فاكس : ٣٥١٦٧٤٣ - القاهرة